غِرهَرد هُب

العرب في المحرقة النازية
ضحايا منسيون!؟

ترجمة: محمد جديد

«يتتبع المؤلف سؤالين السائلين، لماذا لم يُول ضحايا النازية والفاشية من العرب، في كتابة التاريخ، العربي وغير العربي، اهتمامـــاً حتى الآن، على النقيض من الأبحاث المكثفة حول تعاون السياسيين العرب مع ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية؟.

في هذا الكتاب يعرض الكاتب النتائج الأولى لأبحاثه حول فئة من الضحايا، هي فئة المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال الألمانية بين عامي (1939 و 1945 م). وهي توضح أن عدد هؤلاء المعتقلين يمكن مقارنته بعدد المعتقلين المنتمين إلى الأمم الأخرى، "الصغيرة" . . وأن آلامهم لم تكن . . أقل شأنـــاً، أو أهون من آلام الملايين من المعتقلين الآخرين، من غير اليهود.

. . فالعرب لم يكونوا قط في عداد المعتقلين المتمتعين ب"الامتيازات"، ولكنهم كانوا يدخلون في هذه الأثناء في باب ضحايا النازية "المنسيين"، وكان من جملة ما أدى إليه هذا، أنه يوجد اليوم، في الحقيقة، حديث عن "المُقترفين" أو "المذنبين" من العرب. وفي مقابل ذلك يُفتقد الحديث عن الضحايا منهم. ولذلك فليس ما يبعث على العجب أن التأريخ العربي، وغير العربي، على السواء، في صدد العلاقات العربية-الألمانية بين عامي (1933 و 1945 م)، وكذلك المناقشات، التي تجري في هذه الأيام، عن علاقة العرب بالنازية والنازية الجديدة، والمحرقة، يغلب عليهما الحديث عن "المذنبين"، الذين نشروا تجاربهم مع النازية، فيما نشروها فيه، في مذكرات وفي سير ذاتية. على أن إعادة تركيب ألوان المشاهدات والتجارب المتصلة بضحايا النازية من العرب لا تعدُّ. بالنظر إلى هذا، مطلبـــاً من مطالب الإنسانية فحسب، بل تعدُّ، أيضـــاً، إسهامـــاً في كتابة جديدة لتاريخ العلاقات العربية الألمانية بين عامي (1933 و 1945 م)، ولو على نحو جزئي».

لقد بادرت دار قدمس لنشر هذا الكتاب، الفريد حقًا، ليس بهدف إطلاق حملة تسول والمطالبة بتعويضات، كما يقوم بذلك صهاينة في عملية ‹صناعة الهلوكوست›، وفق وصف الباحث الأمريكي-اليهودي نورمان فنكلشتاين. إن قصدنا تعريف الشعب الألماني، والعالم أجمع، بحقيقة أن العرب، مسلمين ومسيحيين، كانوا أيضـــا من ضحايا الإجرام النازي، ووجب إخراج هذه الحقيقة من (ضوء القمر)، أو من (الزاوية الميتة)، على حد تعبير المؤلف الراحل، إلى ساحة التاريخ الكبرى وإنهاء عملية احتكار دور الضحية، إضافة إلى تعريف القراء العرب بخطر الفكر العنصري، الذي لا يستثني أحدًا من إجرامه.

العرب في المحرقة النازية

ضحايا منسيون ؟!

العرب في المحرقة النازية: ضحايا منسيون؟!
تأليف: غرهرد هُب
ترجمة: محمد حديد
مراجعة: زياد منى
تصميم الغلاف والإخراج: زياد منى
إخراج إلكتروني: محمد غيث الحاج حسين
الطبعة الأولى: تشرين الأول (2006 م) جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ لشركة قدمس للنشر والتوزيع (ش م م)

التوزيع في سوريّة: قَدْمُس للنشر والتوزيع
شارع ميسلون، دار المهندسين (0905)، الفردوس
ص ب (6177)
دمشق، سوريّة
هاتف: (+11 963) 9836 222 برّاق: 7226 224/ 7393 442
جوّال: (+94 0 963) 167 517
بريد إلكتروني ‹cadmus@net.sy›؛
التوزيع في محافظة اللاذقية: مكتبة بالميرا
هاتف: (+41 963) 975 468

التوزيع في العالم: شركةُ قَدْمُس للنشر والتوزيع (ش م م)
ص ب (6435/ 113)؛ شارع الحمراء، بناء رسامني
بيروت، لبنان
هاتف: (+1 961) 054 750، برّاق: 053 750
جوّال: (+3 0 961) 512 620، 411 722
بريد إلكتروني: ‹daramwaj@inco.com.lb›

التوزيع في الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع
وسط البلد، خلف مطعم القدس؛ ص ب (7772) عمّان 11118، الأردن
هاتف: (+6 962) 8688 463؛ برّاق: 7445 465
بريد إلكتروني: ‹alahlia@nets.jo›

لقراءة إصدارات الدار على (الانترنت) انظر: ‹http://thaqafa.sakhr.com/cadmus›
انظر أيضًا: ‹http://nesasy.org/cadmus/›
لابتياع نسخ إلكترونية من هذا الكتاب، انظر ‹http://www.arabicebook.com›

عدد كلمات الكتاب: (34141) كلمة تقريبًا

غرهرد هُب

العرب في المحرقة النازية
ضحايا منسيون؟!

ترجمة: محمد جديد

مراجعة: زياد منى

المحتوى

الإهداء

إلى ذكرى الراحل غرهرد هب، أستاذي وزميلي وصديقي العالم الكبير، تعبيرًا عن عميق احترامي لعلمه وشخصه وذكراه العاطرة في قلب كل من عرفه.

وباسم المؤلف، إلى ضحايا النازية من العرب، مسلمين ومسيحيين، المعروفة منهم اسمائهم والمجهولة.

زياد مني

ملاحظات لغوية وتقنية

- المادة اللغوية بين قوسين <> تشير إلى أنها كتبت كما وردت بلغتها الأصلية.
- المادة اللغوية بين المزدوجتين " " تعني أنها اعتراض على المحتوى، من الكاتب الأصلي إذا كان النص مقتبسًا، أو من مؤلف الكتاب.
- المادة اللغوية بين الأقواس المزدوجة « » تشير إلى أن النص مقتبس.
- المادة اللغوية بين قوسين منفردين ‹ › تشير إلى مصدر الاقتباس.
- المادة اللغوية بين قوسين كبيرين [ ] تشير إلى أنها ليست موجودة في النص الأصلي أو نص مؤلف الكتاب.
- المادة اللغوية المكتوبة بين ' ' تشير إلى أنها اقتباس ضمن اقتباس آخر.

تنويه

في منتصف عام (2003 م) اتصل بي أستاذي الكبير غرهرد هب، الذي كان من المشرفين على أطروحة الدكتوراه التي قدمتها عام (1983 م) في جامعة كارل-ماركس بمدينة لايبتسغ في ألمانيا (الشرقية)، ليعلمني بأنه على وشك نشر عملين [مهمين بالطبع] عن ضحايا النازية من العرب والمسلمين، عارضًا علي ترجمتهما ونشرهما باللغة العربية. وقد أرسل لي المخطوطة الأولى كاملة، والثانية أيضـــًا، لكنه أبلغني بأنها بحاجة إلى مراجعة، وسيزودني بنسخة كاملة منها عند الانتهاء من إعدادها. طبعـــًا رحبت بالعرض هذا وعددته شرفـــًا لي وللدار نظرًا للمكانية العلمية والشخصية النادرة التي كان الراحل الكبير يتميز بهما، ليس فقط في ألمانيا، وإنما في عالم (الاستعراب) على الصعيد العالمي.

لكن شاءت الأقدار أن يقع أستاذي العزيز غرهرد هب فريسة ذلك المرض القاتل، الذي هاجم دماغه المعطاء والنادر القدرة، والذي اختطف منا كثير من الأهل والأحباب والأصدقاء والعلماء والزملاء قبل أن يتمكنوا من إكمال ما

كانوا يودون عمله في هذه الدنيا، وغادرونا إلى الأبد. توجهت وقتها إلى ألمانيا وحاولت الاجتماع به، إلا أنني لم أتمكن من ملاقاته شخصياً حيث إن المرض كان في مراحله النهائية. لكنني وعدته في مكالمة هاتفية قصيرة بنشر ما أرسله لي، إضافة إلى كل أعماله الجديدة الأخرى التي اقترحها، لفائدة القراء والبحاثة العرب. والتزامي هذا لم يكن فقط احتراماً لوعد أعطيته لصديق عزيز وعالم كبير، وإنما أيضاً لقيمتها العلمية القصوى.

وفي مرحلة لاحقة، وضمن برنامج التعاون مع مؤسسة (لتركس ديه إيه) الثقافية التي استحدثتها الحكومة الألمانية عشية استضافة العالم العربي ضيف شرف في معرض الكتاب في فرانكفورت في عام (2004 م)، عرضت كتاباً مسهباً عن علاقة العرب، بالأحرى عرب، بالنظام النازي، وتمنوا على دار قدمس نشر ترجمة عربية بالتعاون معهم حيث حوى أيضاً القسم الثاني من هذا العمل. بعد الاطلاع على محتوى المؤلف، قررت الاستجابة لرغبتهم، وسأعود إلى هذه المسألة في مقدمتي لذلك الكتاب الذي سيصدر قريباً.

لكن النقطة المهمة التي أود لفت الانتباه الآن هي أن المبحث الثاني الذي يرد هنا ليس هو العمل الأصلي الذي زودني به الصديق الراحل، حيث يحوي إضافات أساس أنجزتها زميلة تركية للكاتب هي تركان يلماظ، وأتمتها بروح المؤلف ووجهة نظره، التي عرفتُها في علاقة استمرت نحو عشرين عاماً. وقد وضعت النص الأصلي الذي زودي به الصديق الراحل في ملحق هذا الكتاب حتى يدرك القارئ الجهد الكبير الذي بذلته الباحثة التركية، ولإيضاح أنه مازال أمام الباحثين المهتمين بالموضوع كثير من العمل الذي يمكن إنجازه، على الأقل من باب احترام شهدائنا، نحن العرب، الذين سقطوا ضحايا الهمجية النازية.

وحيث إنه من غير الوارد أن تبادر أي من المؤسسات الرسمية العربية إلى تكريم أولئك الضحايا، ناهيك عن إنجاز أي عمل مفيد في أي مكان على وجه المعمورة، فقد يكون من المناسب أن يقوم بعض العرب المقيمين في ألمانيا، ومن

النشطاء في مؤسسات المجتمع الأهلي أو المدني، بمتابعة الأمر تاريخياً، وتأسيس جمعيات تهتم بتاريخ أولئك الضحايا وتكريمهم، وتشجيع الإدارة الألمانية للاعتراف بهم ضحايا للنازية، وعمل ما يتوجب عمله في هذا المجال. وهنا لابد من التشديد على أن الكاتب لا يقصد بأي حال من الأحوال المطالبة بتعويضات، كما يقوم بذلك الصهاينة في عملية ‹صناعة الهولوكوست› كما وصفها الباحث الأمريكي اليهودي نورمان فنكلشتاين•. إننا نقصد بمطلبنا تعريف الشعب الألماني، والعالم، بحقيقة أن العرب، مسلمين ومسيحين، كانوا أيضاً من ضحايا الحقبة النازية، ووجب إخراج هذه الحقيقة من (ضوء القمر)، أو من (الزاوية الميتة)، على حد تعبير الزميل الراحل، إلى ساحة التاريخ الكبرى وإنهاء عملية احتكار دور الضحية، إضافة إلى تعريف القراء العرب بخطر الفكر العنصري، الذي لا يستثني أحدًا من إجرامه.

زياد منى

• Norman Finkelstein: The Holocaust Industry, Reflections on the exploitation of Jewish Suffering. Verso 2000.

1] ذاكرة في خطر: معتقلون عرب في معسكرات الإبادة النازية*

يتتبع المؤلف سؤالين السائلين، لماذا لم يُول ضحايا النازية والفاشية من العرب، في كتابة التاريخ، العربي وغير العربي، اهتمامـــاً حتى الآن، على النقيض من الأبحاث المكثفة حول تعاون السياسيين العرب مع ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية؟. وفي هذه المقالة تُعرض النتائج الأولى لأبحاثه حول فئة من الضحايا، هي فئة المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال الألمانية بين عامي (1939 و1945 م). وهي توضح أن عدد هؤلاء المعتقلين يمكن مقارنته بعدد المعتقلين المنتمين إلى الأمم الأخرى، "الصغيرة"، وأن هؤلاء البشر لم يجر ترحيلهم واعتقالهم، في الحقيقة، لأسباب "عنصرية" على سبيل الحصر، مثلما فُعل باليهود، وأن آلامهم لم تكن مع ذلك، ومن أجل هذا، أقل شأنـــاً، أو أهون من آلام الملايين من المعتقلين الآخرين، من غير اليهود. وذلك أن العرب لم يكونوا قط في عداد المعتقلين المتمتعين ب"الامتيازات"، ولكنهم

كانوا يدخلون في هذه الأثناء في باب ضحايا النازية "المنسيين"، وكان من جملة ما أدى إليه هذا، أنه يوجد اليوم، في الحقيقة، حديث عن "المُقترفين" أو "المذنبين" من العرب. وفي مقابل ذلك يُفتقد الحديث عن الضحايا منهم. ولذلك فليس ما يبعث على العجب أن التأريخ العربي، وغير العربي، على السواء، في صدد العلاقات العربية-الألمانية بين عامي (1933 و1945 م)، وكذلك المناقشات، التي تجري في هذه الأيام، عن علاقة العرب بالنازية والنازية الجديدة، والمحرقة، يغلب عليهما الحديث عن "المذنبين"، الذين نشروا تجاريبهم مع النازية، فيما نشروها فيه، في مذكرات وفي سيرٍ ذاتية. على أن إعادة تركيب ألوان المشاهدات والتجاريب المتصلة بضحايا النازية من العرب لا تعدُّ. بالنظر إلى هذا، مطلبــاً من مطاليب الإنسانية فحسب، بل تعدُّ، أيضــاً، إسهامــاً في كتابة جديدة لتاريخ العلاقات العربية الألمانية بين عامي (1933 و1945 م)، ولو على نحو جزئي.

أما الكلمات المفاتيح فهي: العرب والنازية، ضحايا النازية من العرب، المعتقلون العرب في معسكرات الاعتقال، العلاقات العربية الألمانية بين عامي (1933 و1945 م)، العرب والمحرقة.

في تموز من عام (1942 م) زار ثلاثة من المتعاونين مع رئيس الوزراء العراقي السابق، رشيد عالي الكيلاني، وأحد المتعاونين مع مفتي القدس السابق، أمين الحسيني، في إطار (دورة تدريبية) لدى (جهاز الأمن/ SD) في منظمة (وحدات الدفاع/ SS) معسكر الاعتقال زكنسهاون بالقرب من قرية أُرنينبورغ، وكان المُشرف على كلا السياسيين العربيين، الذي عينته وزارة الخارجية، وهو فِرتس غربّا، يرى أن الكيلاني يتابع بذلك رغبته في التحري عن مسألة: هل يستطيع أن يتخذ مؤسسات مثل معسكر الاعتقال هذا، أنموذجــاً من أجل مؤسسات على شاكلته في العراق». وجاء في تقرير فِرتس غربّا حول الزيارة، التي لم تلق في الحقيقة إقرار وزارة الخارجية الحاسم. ولكن

من الأمور التي لم يكن من الممكن الحيلولة دون حدوثها، ضمن أمور أخرى، أن الجولة التي استغرقت نحو ساعتين «خلفت لدى العرب انطباعـاً جدّ موات، وأن «اليهود على وجه الخصوص، أثاروا اهتمامهم هناك، وأنهم سيُراعون مع ذلك هواجس وزارة الخارجية وأن العرب لن يقوموا بزيارات تفقدية أخرى لمعسكرات الاعتقال»[1].

أما أن هذا الأمر الأخير حدث بالفعل، فذلك أمر متنازع عليه[2]. وعلى وجه الخصوص فإن أمين الحسيني، الذي كان يقيم، مثل رشيد عالي الكيلاني، منذ نهاية عام (1941 م)، في ألمانيا، وكان يتعاون من أجل استقلال البلدان العربية والإسلامية عن الحكم البريطاني والفرنسي، مع الجهات المدنية والعسكرية في ألمانيا النازية، يفترض، لا أن يكون مطلعـاً على معسكرات الاعتقال فحسب، بل أن يكون زارها أيضـاً. ويتحدث كتاب مختلفون عن معسكرات آوشفتس[3]، ومَيْدَنك[4]، وتربلنكا[5] وماوهوزن[6]. وعليه يجد الافتراض القائل إنه كان في صحبة أدُلف آيخمن في معسكر آوشفتس، تأييدًا على أي حال، من خلال شهادة رودلف كاستنر الخطية والمرفقة بقسم، يعود فيها هذا على إبلاغ يتصل بهذا الموضوع من قبل المتعاون مع آيخمن، وديتر فزلجني[7]. تظل المزاعم الأخرى بالطبع مجرَّدة من أي إثبات، على أن التكهنات بصدد هذا وبصدد إساءات أخرى صادرة عن المفتي[8]، تبدو، بالنظر إلى تعاونه الثابت الذي لا يشك فيه، مع النازيين، فائضة عن الحاجة على نحو كامل في الحقيقة، إلا إذا كانت تتابع الهدف المتمثل في إضفاء صفة الشيطان على أمين الحسيني، واتخاذه، على هذا النحو، في حلبة الصراع الدائر في تلك الأيام حول فلسطين، أداة سياسية[9]، في صورة «هراوة عَقدية».

ثم إن مسألة إمكان وجود أناس من مواطنيه أو من إخوانه في المعتقد، في معسكرات الاعتقال التي يفترض أنه زارها، لم تخطر قطُّ ببال "الباحثين"، "المجتهدين" بالطبع، بل على النقيض من ذلك: إذ يصل المرء بالمدعو ل

غرملتسا إلى أن يتجرأ على صياغة تفيد «أن معاداة السامية لم تسُق بعد عربيـــاً إلى غرفة غاز ألمانية»[10]. وفي الواقع لم تكن هذه معاداة السامية، بل كانت العنصرية والإرهاب «المألوفين تمامـــاً»، عند النازيين، هما اللذان دفعا بالعرب أيضـــاً إلى جانب الملايين من البشر الآخرين، من العرب والمسلمين، إلى معسكرات الاعتقال وإلى غرف غازاتهم.

وإذا ضرب المرء ذات مرة صفحـــاً عن الفظاعة الأخلاقية لتصريح غرملتسا، الذي من الظاهر للعيان أن يقدر أعداد ضحايا النازية من غير اليهود بأنها أقل من ضحايا اليهود، فقد غاب عن ذهنه، مثلما غاب عن أذهان كل الكتاب الآخرين، كما يبدو، أنه كان يوجد، منذ أيار عام (1944 م)، لائحة بأسماء «المعتقلين، ذوي العقيدة الإسلامية» في معسكرات الاعتقال الألمانية، وهي لوائح كان من الممكن أن تعين الباحثين الشرفاء، الصادقين، على اقتفاء أثر الحقيقة. وقد تم إعدادها بإيعاز قائد منظمة (وحدات الدفاع) في الرايخ[*]، هاينرش هملر، وكانت في تلك الأيام تهدف إلى حمل المسلمين في معسكرات الاعتقال أيضـــاً، على التطوع لصالح وحدات حمل السلاح التي كانت تتألف على الأغلب من متطوعين بوسنيين وألبان، وكذلك من وحدات إسلامية من أسرى الحرب السوفييت السابقين. ومن أجل هذا الغرض أعدَّت الإدارة الرئيسة الاقتصادية والإدارية لمنظمة (وحدات الدفاع) المختصة بمعسكرات الاعتقال، بإدارة أزفالد بول اللائحة المذكورة، التي تتضمن بيانات بالأرقام، كما تتضمن الأصل القومي و«مكان التحفظ» المخصص للمعتقلين. وبناء على ذلك كان يوجد في ذلك الوقت (1130) رجل مسلم و(19) امرأة مسلمة من إفريقية وألبانيا وبلغاريا، وفرنسة واليونان، وإيطاليا ويوغسلافيا وهولندا وبولندا والاتحاد السوفييتي وتركية في معسكري آوشفتس (1 و2)، وفي معسكر برغن-بلزن، وبوخنفلد، ودخاو، وفلُسنبرغ، وغروس-روزن وماوتهوزن، ونَتسفايلر، ونوينغَمّه، ورافنزبرك، وزكسنهاوزن، وشتُتهُف[11].

أما العرب فلا يذكرون في هذه اللائحة، ومع ذلك فلا يوجد سبب لعدم التماسهم والبحث عنهم. ويجد المرء معظمهم تحت بند التبعية «الفرنسية» فهم أناس ينتمون إلى مناطق المستعمرات الفرنسية في شمالي إفريقية وفي الشرق الأدنى. وثمة آخرون يستخفون وراء تسمية «الإيطاليين» وكذلك «الإسبان». ويترتب علينا هنا أن نتعامل بترميز استعماري كان يستعمل في أوربة منذ عهد بعيد، كما طُبق أيضـًا على ضحايا عرب «للنازية»، كان فيهم عمال السخرة وأسرى الحرب في الحرب العالمية الثانية. وكان هذا الترميز يجرد كثيرًا من أتباع من يُسمون شعوب المستعمرات، من هويتهم القومية، ويُبعدُهم، بصفتهم من أتباع الحواضر الاستعمارية، إلى «مناطق الظل»، إن صح التعبير، ويُعهدُ بهم، بذلك، إلى النسيان.

لقد تشكّلت عملية البحث عن المعتقلين العرب تشكُّلاً يذكر بعملية البحث عن الجناة والمجرمين، بصريح العبارة، وكانت على أي حال طويلة الأمد، غير أنها كانت، آخر الأمر ناجحة: فقد أمكن تحطيم الرمز الاستعماري عن طريق التماس التفاصيل المتعلقة بالأفراد في بنوك المعطيات العائدة للأماكن التذكارية المرتبطة بمعسكرات الاعتقال، والمحفوظات المرتبة تبعـًا للبشر الذين يُحتمل أنهم كانوا عربـًا، كما تدل على ذلك أسماؤهم وأماكن ولادتهم. وقد توصلت حتى الآن إلى أكثر من (450) معتقلاً عربيـًا، وهم من المسلمين في المقام الأول، ولكن يوجد أيضـًا مسيحيون ويهود، في معسكرات الاعتقال النازية، وهم يزيدون زيادة جوهرية عن «الفرنسيين الاثنين والسبعين» الذين ذكروا في لائحة أزفالد بول، وعندما يُدخل المرء في حسبانه أن المرء ما عاد في وسعه بعد سوى أن يسمي نحو نصف نزلاء معسكر الاعتقال، ولا تكون هذه قد أحاطت بها بعد بنوك المعلومات، عند ذلك يكون من الجائز، في الحساب الإجمالي، أن يكون وُجد في هذه المعسكرات ألف معتقل عربي على الأقل.

ولم يكن المعتقلون العرب موجودون في المعسكرات التي تذكر في لائحة بول فحسب، بل في كل معسكرات الاعتقال النازية تقريباً، فقد ثبت وجودهم في آوشفتس (34) نفراً، وفي برغن-بلزن (21)، وفي بوخنفلد (149)، وفي دخاو (84)، وفي فلُسنبرغ (39)، وفي غروس روزِن (12)، وفي معسكر منظمة (وحدات الدفاع) الخصوصي، هنتسرْت (3)، وفي ماوتهوزن (62)، وفي متلباو-دورا (39)، وفي نتسفايلر (37)، وفي نوينغمّه (110)، وفي رافتربرك (25)، وفي ريغا-كايزّرفالد (1)، وفي زكسنهاوزن (42)، وفي شتُتهُف (3)، وفي فرصوفيا (2)، وفي فِفلزبورغ (2)، وكذلك في معسكر الإبادة في لُبلين-مَيْدَنك (4)[12]، وحين زار المتعاونين مع أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني، في تموز عام (1942 م) معسكر زكسنهاوزن، كان قد وُجد حتى هذه اللحظة، ما لا يقل عن (15) عربياً في معسكرات الاعتقال الألمانية، منهم ثلاثة في المعسكرات التي زارها الرحلان (أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني).

وكان معظم المعتقلين من شمالي إفريقية: من الجزائر (248 نفراً)، والمغرب (27)، وتونس (22)، وكان آخرون من مصر، والعراق (4) ولبنان (1) وفلسطين (4) وسورية (1)[13]. وكان بينهم أيضاً يهود، وكان معظمهم يأتي في هذه الأثناء من ليبيا ومن اليمن. ولما كان مصيرهم قد أصبح موثقاً[14]، فإنهم لن يدخلوا في الحساب من بعدُ. وفي بعض معسكرات الاعتقال، كان ثمة وجود يمكن إثباته، في رافتربرك، وفي فلُسنبرغ، نساء يحملن أسماء عربية، وكانت المسألة لا تتعلق في حالتهن، بالطبع، إلا فيما ندر، بعربيات، بل بالأحرى بزوجات فرنسيات لمهاجرين عرب، من شمالي إفريقية. وكان معظم المعتقلين قد عاش حين اعتُقل، وأُدخل إلى المعسكر، بصفته مهاجراً، في جزء منه، الجيل الثاني في فرنسة: وكان كثير منهم قبل الزجِّ بهم في المعسكر، أيضاً، أسارى حرب، من الجيش الفرنسي المهزوم، الذي كانوا أدوا فيه الخدمة العسكرية بحكم كونهم ملتزمين بخدمة العلم.

على أن حياة هذه الفئة من الضحايا، ومصائر كل فرد فيها، لم يجدن، حتى اليوم، مكانــًا، لا في الذاكرة الجماعية، ولا في ذاكرة الشعوب التي أضيفت عليها الصفة المؤسساتية، وفيها ذاكرة شعوبهم، هم[15]. فالمعتقلون العرب لا يظهرون، إلا بين الحين والحين، في صورة (ظاهرات غريبة) في ذاكرة المعتقلين السالفين المنتمين إلى أمم أخرى[16]، وفي أجواء القصص والروايات[17]، ومن النادر أن يظهروا في عمليات استعراض القوميات والأجناس في أدبيات الأبحاث[18]، أو على النصب التذكارية الخاصة بمرابع ذكريات بعض معسكرات الاعتقال[19]. والظاهر أنه لا وجود لذكريات خاصة بهم مدوّنة، لعصر الاعتقال. وما من شك في أن المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال، ينتمون، بذلك، إلى الضحايا المنسية، ضحايا «الآخرين»، من أرباب الحكم النازي[20]. ومن الأسئلة التي تطرح نفسها، بالطبع، مسألة هل يكمن سبب ذلك في تجرد خسارتهم لهويتهم القومية، جراء الترميز الاستعماري لأصولهم، أم هناك أشكال أخرى من (تعريض الذاكرة للخطر)، وبالتالي «تعريض الشروط الاجتماعية للنسيان»[21]، التي وقع المعتقلون العرب في معسكرات الاعتقال ضحية لها؟، كما يذكر ذلك يان أسْمَنْ، وسيُصار، فيما يلي إلى استخدام بعض الاعتبارات في هذا الإطار.

وأول ذلك: أنه قد يكون في وسع المرء أن يفترض أن عدد المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال، الذي يُقدر بألف معتقل، وكان وما زال ببساطة، عددًا أقل من أن يضمن لهم حيِّزاً في الذاكرة الجماعية للشعوب. وفي مقابل مثل هذه الحجة، التي تنطوي في ذاتها على أمور قد يكون لها بعض الوزن، ولكن أفلا تشهد، من ناحية أولى، الأعداد التي تكون، في كثير من الأحيان، أقل منها بعد، وهي أعداد المنتمين إلى الأمم الأخرى، "الصغيرة"، كالألبان أو الأستونيين أو السويسريين، أو الأتراك، الذين يُذكرون في أدبيات البحث، بصريح العبارة، بصفتهم من فئات الضحايا، ويحظون بالتقدير بهذا الاعتبار، في

الذاكرة التي أضيفت عليها الصفة المؤسساتية. ومن ناحية أخرى، حقيقة أنه حتى العدد الأكبر من هذا بعشرات الألوف، وبما لا يقبل المقارنة، وأعني عدد أسرى الحرب وعمّال السخرة من العرب في ألمانيا، وفي المناطق المحتلة، لم تحفظ هؤلاء البشر، أيضـــاً، من النسيان.

والثاني: أن في وسع المرء أن يعترض بأن العرب كانوا يتعرضون، في وسط مجتمع المعتقلين في معسكرات الاعتقال، لضغط ناجم عن المعاناة هو أقل مما كان يتعرض له النزلاء الآخرون؛ أي: أنهم كانوا يتمتعون بامتيازات، إن صح التعبير. ولو كان من الممكن الإدلاء على وجه الإطلاق بإفادات جديّة، وليس هناك، كما ذكرنا آنفـــاً، أقاصيص عن المعاناة العربية، والمعتقلون الآخرون لا يقدمون معلومات عنها في إطار ذكرياتهم، فكان من الجائز أن تُساير هذه الإفادات وجهات النظر التالية:

1] أسباب إدخالهم معسكرات الاعتقال

لقد اعتُقل معظم العرب، منذ عام (1943 م)، في فرنسة، وعن طريق شرطة الأمن، ولاسيما من قبل معسكرِ اعتقال الشرطة، في كُمبيين، بالقرب من باريس. غير أن هذا حدث أيضـــاً بالانطلاق من بلفور، وبوردو، وما يسمى معسكر اليهود في درانسي، وما يسمى (معسكرَ الاعتقال الاحترازي) في فورت رومنفي، ومن غرينوبل، وليون، و(معسكر اعتقال الشرطة) في مِتس، ومن نانسي، وبربنيان، وما يسمى معسكر الاعتقال الاحترازي، في شيرمك، ومن طولون، وتولوز، وفلنس، إذ أُدخلوا معسكرات الاعتقال. وثمة عدد أقل، عُرفوا، أيضـــاً بأنهم أُدخلوا على يد الغستابو (شرطة الدولة السرية/ Gestapo)، ومن "المحمية"، ومن النمسا التي ضُمت، وضمن أماكن أخرى، من دنتسِغ، وغروس–شتريلتس، وفرانكفورت ماين، وهاله/زاله، وكارلزروه، وكُبلنتس، وكولونيا، ولايبتسغ، وتروباو، وفيينا. كما حدثت عمليات نقل للمعتقلين من العرب من بروكسل وتونس، وباتت معروفة أيضـــاً.

ولا يمكن تمييز أسباب الاعتقال والترحيل بالاستناد إلى المحفوظات التي قلّما سيتم تناقلها إلا بصورة غامضة. وما من شك في أن تواريخ الاعتقال وأماكنه، وبالتالي مكان الحبس وتاريخه، وكذلك تصنيف المعتقلين يُفسحن المجال لاستنتاجات بصدد خمسة من أسباب الاعتقال على الأقل.

وذلك أن تمييز بعض العرب بأنهم أولئك الذين يسمون (معتقلين على نحو غير قانوني)، أي: (معتقلي الليل والضباب/ NN) والزجّ بهم في معسكرات اعتقال غروس-روزن وماوتهوزن، ونتسفايلر، وكذلك في المعسكر الخاص بمنظمة (وحدات الدفاع)، في هنتسرْت كان يتم بالنظر إلى الظرف المتمثل في أنهم ينتمون إلى وسط أولئك البشر الذين قاتلوا في صفوف المقاومة الفرنسية، أو كانوا مقربين منها. وقد اعتقلوا على أساس مرسوم (معتقلي الليل والضباب)، وعُزلوا في سجنهم عن العالم الخارجي، وخضعوا ل"معاملة خاصة".

وكان العرب قريبين من هذه الفئة من المعتقلين الذين كان من الواضح للعيان أنهم كانوا يتعاطفون مع المقاومة، بل كانوا ينتمون إليها، وقُبض عليهم خلال ربيع عام (1944 م) بموجب (مرسوم شبِرله) وزُجَّ بهم، على وجه الخصوص في معسكر اعتقال نوينغَمّه.

وكان هناك فئة جدُّ صغيرة، بلا ريب، تتألف من العرب الذين كان من الواضح للعيان أنهم وقفوا، في الحرب الأهلية الإسبانية إلى جانب الجمهوريين، وكانوا ما يزالون مصنَّفين بعد اعتقالهم في فرنسة، على أنهم (الإسبان الحُمر. [أي: شيوعيين. ز م]). وقد جيء بهم أول الأمر مثلما فُعل، مثلاً بالسيد بن طاهر م، إلى (معسكر اعتقال أصحاب المراتب الدنيا) في كيزرشتاينبرُخ، ثم إلى معسكر اعتقال ماوتهوزن[24].

وإلى جانب «يهود بنغازي» الذين سبق ذكره، من ليبيا واليمن، كان يوجد في معسكرات الاعتقال، أيضـاً، معتقلون يهود من المغرب ومن العراق. وبالاستناد إلى مستوى المعرفة المتحصِّلة حتى الآن، لم يُسجن هناك

سوى واحد منهم، من «معسكر اليهود» الفرنسي، درانسي. وما يلفت النظر أيضـــاً أنه لم يجر تصنيف سوى جزء من المعتقلين اليهود الذين توصلت إلى تمييزهم في أوراق معسكرات الاعتقال، من معتقلي منظمة (وحدات الدفاع)، بهذا الاعتبار، بينما يجري تصنيف الآخرين، على الرغم من الأسماء اليهودية القابلة للتمييز، تحت بند «الفئات المحايدة من الوجهة العرقية» وهو الأمر الذي ربما صانهم من مصير أسوأ.

وأخيرًا حُوِّل عدد كبير من العرب إلى معسكرات الاعتقال، ممَّن كانوا قد أصبحوا بصفتهم عُمال سخرة أو أسرى حرب ملتزمين بالعمل في أوربة المحتلة، وفي الرايخ، «منتهكي بنود عقود العمل»، وصدرت بحقهم أحكامُ من المحاكم بسبب «التعطل عن العمل» أو «الابتعاد عن مكان العمل» أو «الجرائم بحق اقتصاد الحرب»، وجنح أخرى، وحتى الآن كان من الممكن توثيق مصائر سلسلة من عمال السخرة العرب، ولاسيما في غرب ألمانيا ووسطها، وكذلك في النمسا، وهم الذين كانوا إما مُستخفين، أول الأمر فيما يسمى (معسكرات التربية على العمل) أو معسكرات الأشغال الشاقة[25]، مُستخفين و/ أو في صورة (مفسدي الشعب)، أو (مُجفلين من العمل)، وبالتالي (مفسدي المجتمع)[26]، في صورة (معتقلي شرطة/) وفي صورة معتقلين في (معسكر الإبعاد عن البلاد) قد زجَّ بهم الغستابو في السجن بعد الاعتقال[27].

وكان بين المعتقلين الذين عرضت لهم أمثال هذه الأمور، إبراهيم م، وبوقّفة م، اللذان أُدخلا عام (1945 م)، من قبل (معسكرات التربية على العمل) في أوبرلنسندُرف، في معسكر اعتقال ماوتموزن. وعَلاوة ج، الذي قُبض عليه عام (1942 م) في لايبتسغ بصفته «رافضـــاً للعمل»، وأُدخل معسكر التربية على العمل في ملتهيِّرن، ومن هناك إلى معسكر الاعتقال في بوخنفلد. وعلى حين ظل الثلاثة، على ما يبدو، أحياءاً بعد الاعتقال، مات

محمد راشي الذي كان حُكم عليه عام (1943 م)، في لايبتسغ، بصفته «مفسدًا للشعب»، في (7 آذار 1945 م)، في معسكر الاعتقال برغن-بلزن.

وفي عام (1943 م) أدخل الغستابو عبد الرحمن ب، ومحمد مربوش، (الحسين م) في فرانكفورت/ ماين، بصفتهم «مجفلين من العمل»، معسكر الاعتقال في بوخنفلد، أما عبد الرحمن ب، فقد دخل من هناك إلى معسكر الاعتقال في فلُسنبرغ، حيث مات في (28) آذار (1945 م). وأما «المعتقل بهدف الإبعاد»، صلاح ب، فقد جيء به، بعد الحكم عليه، في عام (1936 م)، أول الأمر، إلى سجن برندنبورغ-هافل، ثم إلى معسكر الاعتقال في زكسنهاوزن، وأخيرًا إلى ماوتهوزن حيث تم تحريره في أيار عام (1945 م). ولا يُعرف مصير «المعتقل بقصد الإبعاد»، بلقاسم ك، الذي جيء به، بعد الحكم عليه في عام (1940 م)، من سجن برلين-بلتستريه، إلى زكسنهاوزن، ومن ثم إلى دخاو. ولقي حسن الحظ في ثوب التعاسة، الطالب العراقي سيد داود ي، الذي حُكم عليه، على الرغم من التماس العون من رشيد عالي الكيلاني عام (1944 م)، في فورتسبورغ، بسبب «مساعدته» حَماهُ المستقبلي على الهرب من خدمة العلم، بثلاث سنوات من السجن، وجاء إلى دخاو، حيث حررته القوات الأمريكية في نيسان (1945 م).

2] الوضع في مجتمع المعتقلين

كانت الأغلبية الساحقة من المعتقلين العرب (أكثر من 95%) تنتمي إلى الفئة التي شملها عفو منظمة (وحدات الدفاع)، من المعتقلين «السياسيين» (.Pol) أو المعتقلين بقصد الحماية (.Sch)، أي أنها كانت تحمل الزاوية الحمراء على سترتها وسروالها اللذين يشكلان «كسوة المعتقلين». وكان يُعد منهم، إلى جانب (معتقلي الليل والضباب) المتميزين بعزلتهم، على ما يبدو، أيضـــا، كثير من عمال السخرة السالفون، ماداموا لا يحملون شارة الزاوية

السوداء التي تميز الـــ(مجفلين من العمل/ .ASR)، وبالتالي (مفسدي المجتمع/ .Aso)، أو علامة (الزاوية الخضراء) التي تميز "المجرمين"، أي: المُتَحَفَّظ عليهم لأسباب تتصل بالأمن. ولما كان معظم المعتقلين العرب يُسجلون على أنهم «فرنسيون» فقد كانوا يتلقون تسميات مثل (سياسي/ .Pol، فرنسي/ .Frz)، أو (فرنسي معتقل بقصد الحماية) وكانوا يحملون، إضافة إلى ذلك إشارة الحرف (F) (للدلالة على فرنسة) في علامة (الزاوية الحمراء)، وكان آخرون يحصلون على الإضافة «يهودي» وعلى علامة (النجمة الصفراء).

وكان نظام الفئات في منظمة (وحدات الدفاع) الذي تختلط فيه الرموز القومية، وبالتالي الاستعمارية، والسياسية والعنصرية، بعضها ببعض، يفيد، كما يكتب فلفغنغ زُفسكي، في «التفرقة وبث بذور الشقاق» بين المعتقلين، ويكون له، آخر الأمر، القول الفصل في حياتهم وموتهم: فكانت الفئة الواحدة من هذه الفئات كلما وجدت نفسها أقرب إلى منظمة (وحدات الدفاع) ازدادت فرص النجاة من الموت أمام المعتقلين التابعين لها، وكلما ازدادت بعدًا عن منظمة (وحدات الدفاع)، ازدادت قربـــاً من الموت. وكان المعتقلون من العرب، ولاسيما أولئك المتميِّزون بالرموز (سياسي فرنسي/ .Pol. Frz)، و(معتقل بقصد الحماية/ .Sch. Frz) و(معتقل الليل والضباب/ NN) و«اليهودي»»، يجدون أنفسهم في مرتبة اجتماعية بعيدة بعدًا شاسعـــاً عن منظمة (وحدات الدفاع) ، وكانوا، بذلك ينتمون إلى أولئك الأعضاء من مجتمع المعتقلين، اللذين كانوا، فيما يرى زُفسكي، معرَّضين «لضغط شديد في اتجاه الإبادة»[28].

وفي بعض معسكرات الاعتقال، وعلى وجه التحديد في آوشفتس وبوخنفلد، ودخاو وفلّسنبرغ، وماوتهوزن، ونتسفايلر، ورافتربرك، كانت توجد أيضـــاً، على نحو متفرق، ويُظن أن ذلك بطريق أقرب إلى المصادفة، فئات أضيفت عليها رموز قومية عربية. ونجد هناك فئات عامة محددة تحديدًا

دقيقـــاً من الوجهة القومية، مثل (مفسدي المجتمع فرنسة/ عرب/ ASR Frankr. Ara.)، (سياسي فرنسي/ الجزائر/ Pol. Frz/ Algerien) و(سياسي فرنسي/ المغرب/ Pol. Frz/ Maroc)، وفئات تمثل العربي عمومـــاً، مثل (Araber/ عربي) و(عامل، مدني، عربي/ Zivilarbeiter, Arabe)، (عربي، عمل مدني/ Araber Z. A.)، و(عربي، سياسي/ Araber Pol.)، و(عربي معتقل بقصد الحماية/ Arab sch.)، و(عربي معتقل على يد الشرطة/ Polizeihaeftling Araber)، وكذلك: فئات منوعة حسب البلدان والأقاليم، مثل (سياسي، مصر)، (مصري، معتقل بقصد الحماية) (مصري عمل مدني)، و(سياسي جزائري)، و(جزائري معتقل بقصد الحماية)، و(عراقي معتقل بقصد الحماية)، و(معتقل بقصد الحماية/ العراق).

ومع ذلك فليس هناك وجود لأمارات تدلُّ على أن هذا الظرف غيّر وضع المعتقلين في تصنيف منظمة (وحدات الدفاع)، حيث يمكن لهذا التمييز أن يفسح المجال لاستنتاجات تتعلق بالمعاملة المنحرفة، وبذلك تكون فرص نجاهم قد تحسنت في النهاية. وحتى تأكيد الدائرة الخاصة بالسياسة العنصرية في (حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني 'النازي')، الذي أجاب مديره، فالتر غروس، عام (1942 م)، على سؤال رشيد عالي الكيلاني عن الموقف الألماني من "العنصر العربي"، لم يكن له نفوذ يمكن تمييزه وتبيُّنه، على موقف العرب في مجتمع المعتقلين في معسكرات الاعتقال، بل هذا التأكيد مماثلاً لتقرير أن النازية هي، على سبيل الحصر، ضد اليهود التي تبعث الانحلال والفساد في كل الشعوب، غير أنها لا تتوجه ضد الشعوب الأخرى ذات اللغة السامية، وذات المواقف المعادية لليهودية منذ العصر القديم، أيضـــاً. أي أنه كان فقط جزء من دعاية ديماغوجية تهدف إلى كسب التأييد العربي، والتعاطف العربي مع أهداف حرب دول المحور الفاشي. وبالمناسبة فهذا التصريح لم يُنشر إلا في عام (1944 م)[29]. وما من شك في أنه بهذه الدعاية

تتميز حقيقة أن امرأة شابة في معسكر اعتقال رافنزبرك، صُنفت على أنها من الهُجناء المغاربة، ويُظن أنها كانت تنتمي إلى أبناء جنود الاحتلال الفرنسيين "الملوَّنين"، الذين يُشار إليهم، في الاستعمال اللغوي العنصري بأنهم (أنغال* إقليم الراين)[30] والنساء الألمانيات من سنوات العشرينات، كانت قد اعتُقلت لأسباب «عنصرية» بلا ريب.

ومن الواضح للعيان أنه لم يكن يوجد موقف رسمي موحَّد في النظرية النازية الخاصة بالأعراق، وفي السياسة العنصرية، تجاه من ليسوا بآريين وليسوا يهودًا، كـ"الملوَّنين"، وفيهم العرب والأفارقة، كان خليقـــًا أن يؤدي إلى «معاملة خصوصية يمكن تصوُّرها لهؤلاء البشر، في معسكرات الاعتقال على الأقل[31].

وحتى الانتماء إلى الدين الإسلامي لم يَعُد على المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال، حسب مستوى المعرفة المتوافرة حتى الآن، وعلى ما يبدو، بمزايا، ولا بمساوئ، ثم إنه لا يُعرف هل تكوَّنت من بينهم مع المسلمين علاقات خصوصية تضامنية؟، أم هل كانوا يستطيعون، في معسكرات الاعتقال متابعة آراء واجباتهم الدينية، وبالتالي يثابرون عليها، مثلما كان يفعل ذلك المعتقلون اليهود والمسيحيون[32]؟. أما أن رجُلي الدين المسلمين والمنتمين إلى ألبانيا، واللذين كانا معتقلين في معسكر اعتقال دخاو، كانا يحتكان هناك بأشقائهم في العقيدة من العرب، وكانوا يشرفون عليهم ويرعونهم، قدر الإمكان، فذلك أمر غير ثابت[33].

3] إيواء المعتقلين ومدى إمكانية التحرك والانتقال المتاحة

كان العدد الراجح من المعتقلين العرب يوجد في معسكرات اعتقال المرحلتين الثانية والثالثة: وكانت هاتان المرحلتان مرصودتان للمثقلين بالأعباء، الذين مازالوا، مع ذلك، «قابلين للتربية والتحسين والإصلاح».

وكانت إمكانية تحرُّكهم وانتقالهم داخل إطار هذه الفئات من المعسكرات كبيرة نسبيـــاً: إذ كان لنحو (40%) منهم معسكران، ولعشرة بالمئة تقريبـــاً عشرة معسكرات. وعاش خمسة من المعتقلين في أربعة معسكرات اعتقال على الأقل. وباستثناء (معتقلي الليل والضباب) و(الذين ليسوا من المعسكر) كان العرب في المعسكرات الخارجية، يُطلبون بعدد كبير نسبيـــاً من أجل عمليات تعبئة للعمل. أما أن هذا يتعين إرجاعه إلى صلاحيتهم المهنية، أو إلى مقدرتهم البدنية على المقاومة، أو إلى شبكة العلاقات في مجتمع المعتقلين[35]، فذلك ما لا يمكن أن يتبين، بالاستناد إلى المصادر المتوافرة.

ولا يُعرف إلا القليل عن محاولات الهرب في صفوف المعتقلين العرب، فبينما كان محمد أ، قد أمكن الإمساك به بعد أن توارى عام (1944 م) من معسكر اعتقال نتسفايلر، وتلقى (نقطة الهرب) التي تشكل خطرًا على الحياة، يبدو أن محاولة الغستابو العثور على صلاح م. الذي كان قد فرَّ من عسكر اعتقال نوينغمّه، قد انتهت إلى الإخفاق.

4] المؤهلات، والبنية العمرية، وكذلك وفيات المعتقلين

لا تتوافر معلومات إلا عما لا يزيد عن نصف المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال، فيما يتعلق بتأهيلهم المهني. فقد كان (46%) من هؤلاء عمالاً، وكان من هؤلاء، مرة أخرى ، (42%) عمالاً متخصصين، وكان لمقدار (27%) من المعتقلين مهن يدوية، وكان (23%) من هؤلاء موظفين، ومستقلين بمهنهم، وأن (13%) من هؤلاء عاملين في قطاع الخدمات، ولم يكن هناك سوى (32%) من المعتقلين، من الفلاحين والعمال الزراعيين. وهذا ما يؤكد التكهُّن القائل إن معظم المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال كانوا من المهاجرين من أجل العمل، وكان لهم تدريب مهني، كما سبق أن أتيح لهم، بصورة جزئية، تدريب العمال المختصين. ومن الممكن أن

نفترض الهم كانوا، على الأغلب، يستطيعون القراءة والكتابة، ولا توجد، إلا فيما ندر، في أوراق ملفاهم، الإشارة إلى الأمية.

وكانت الأغلبية الكبرى من المعتقلين العرب، أي: نحو الثلثين، فوق العشرين ودون الأربعين، وكان نحو الربع منهم فوق الأربعين، ولم يكن يقل عن العشرين إلا القلائل. وتفيد المعطيات المتوافرة، البعيدة كل البعد عن الاكتمال، أن نحو خمس المعتقلين العرب لم يخرجوا أحياء من بعد الإقامة في معسكرات الاعتقال. وعلى قدر ما تأتي المراجع على ذكر أسباب الوفاة، كانت الأمراض، (ولاسيما السل) والوّهن الجسدي العام، يمثلان السببين الأكثر تواترًا، وكان بعضهم قد أدخل في السجن وقد بات مصابــًا بعجز دائم عن العمل. وتمت إبادة واحد على الأقل من المعتقلين، وهو المغربي محمد بوعياد في (24 نيسان 1945 م) في معسكر اعتقال ماوهوزن، في غرفة غاز. وكان نصيب الموتى في الفئات العمرية هو ذاته تقريبــًا مقدار يقارب العشرين، باستثناء المعتقلين الذين هم دون العشرين عامــًا. ولا تكاد تُعرف أرقام يمكن مقارنتها بهذه بصدد المنتمين إلى قوميات أخرى. ولا يمكن أن نورد الافتراض، الذي يلقى القبول بوجه عام، وهو أن نحو ثلثي كل المعتقلين في المعسكرات ماتوا[36]، بغية المقارنة، لأنه يدخل في حسبانه معدلات الوفيات المرتفعة إلى ما فوق المتوسط، بين المعتقلين اليهود والروس، والبولون.

على أن أكثر النتائج عمومية لأبحاثي التي لما تُختتم بعد [التشديد مني، ز م]، هو أن المعتقلين العرب لم يكونوا يشكلون الاستثناء، بل كانوا يمثلون القاعدة الخاصة بالإرهاب النازي، وذلك أنهم لم يكونوا في عداد «أهل الامتيازات»، ولا في عِداد «المصطفين المختارين» عندهم، بل كانوا من ضحاياهم «اليومية»، ويُعد عددهم قابلاً للمقارنة بضحايا الأمم الأخرى، «الصغيرة». على أن وطأة الألم والمعاناة عند معظم معتقلي الحماية الآخرين، إذا ما ضرب المرء، ذات مرة، صفحــًا عن اليهود، والروس والبولون، ومن هذه الوجهة

لا يوجد سبب يمكن تبيُّنه، ويتمتع بالمصداقية، للقول إن أقاصيص آلامهم يترتب تقديرها بأنها أخف وطأة من آلام سائر المعتقلين، وأنها ما كان ينبغي لها أن تسترد أو تُكتب. ولا ريب في أن الشروط الأولية لهذا كانت متوافرة عند كثير من المعتقلين، ومع ذلك لم يحدث هذا، كما سبق أن ذكرنا. فالمعتقلون العرب في معسكرات الاعتقال يدخلون، مثل الأفارقة والسِّنتي والروما [أي: "الغجر"، ز م]، والمفسدين للمجتمع، والمضطَهدين بالقتل المنهجي «الذي يمارس في العادة مع البشر ذوي الأمراض النفسية، والمعوَّقين نفسيـــا، وذوي النزوع إلى الجنسية المثلية، والمومسات»، في عداد ضحايا النازية "المنسيين". وعلى حين تمّ، منذ عهد بعيد، وبلا ريب، انتزاع الأخيرين من براثن النسيان، وتم تدوين أقاصيص آلامهم ونشرها، وأُدْخلوا، بصفتهم فئات من الضحايا أيضـــا، في الذاكرة التي أضفيت عليها الصفة المؤسساتية[37]، يظل المعتقلون العرب، دائمـــا وأبدًا، خارج مجالات الذكرى. ولكن حين لا يكون لتجربة الآلام عندهم، أن تستبعد، وهي التي تُعد، فيما يقول راينهارت كُسلّك، «تجربة أولية»، من حيث كونها أساســـا لنسيان اعتقالها في المعسكر، فإن هذا لا يعود من الممكن التماسُه من بعد في الحقيقة إلا في تجاريب تستند إلى تحليل الأداء السابق (ex-post)[38]. ولنورد على ذلك بعض الأمثلة أيضـــا:

1) عندما يفترض المرء أن معظم الناجين من الموت من المعتقلين العرب، الذين خرجوا من معسكرات الاعتقال، عادوا أدراجهم إلى فرنسة حيث كانوا يعيشون، من قبل، كما ذكرنا، ولاسيما بصفة مهاجرين من أجل العمل، وظلوا هناك أيضـــا، وكان يُفترض بعد ذلك أن يكونوا سردوا أقاصيص آلامهم هنا أيضـــا أو دوّنوها أو نشروها، في سياق تكوين هويتهم بصفته ضحايا، غير أني لم أجد حتى الآن، أدنى إشارة إلى هذا. ومن ذلك أن الكتاب الذي حرره (الاتحاد الوطني للمرحلين والمعتقلين) من رجال المقاومة، والوطنيين، والذي يشتمل على نحو (400)

صفحة، بعنوان ‹كتاب الشهادات الكبير›، شاهدًا واحدًا على الاضطهاد النازي يمكن أن يكون، بموجب اسمه، عربية أو عربيـًا[39]. على أن هذا لا يعني أن آلام الجزائريين، والمغاربة والسوريين والتونسيين لم تُوثق: إذ تسرَّبت، بموجب الترميز المعروف، في صورة آلام «فرنسيين» إلى الذاكرة الجماعية للأمة الفرنسية. وهذا ما تثبته «النصب تذكارية»، و«الكتب التذكارية»، الخاصة بضحايا النازية من الفرنسيين، والتي تم تجميعها وتنسيقها بقدر كبير من الجهد والبذل، وبعناية تحدث آثارها العميقة في النفوس. ثم إن الأعمال التي تستحق التقدير الكبير من حيث كونها مراجع تاريخية، تضمن كثيرًا من الأسماء، وكثيرًا من التواريخ الهامة الخاصة بحياة عرب «من الشمال الإفريقي»، ومن سورية، وحتى من فيتنام، وتواريخ اعتقالهم، غير أنها تسجل هذه على أنها أسماء وتواريخ عائدة إلى فرنسيين.

ولست على بيِّنة من أمري في صدد الكيفية التي يجب أن يتم بها تقويم هذا الظرف الشديد الالتباس والتضارب فهو يوضح، بطريقة فريدة في نوعها، أن النسيان ليس بالنفي البسيط للتذكر، بل توجد بين كلا الأمرين علاقة جدلية[40]. لقد كتبت ألايدا أسمن ذات مرة عن (تأميم الذاكرة/ مصادرة الذاكرة) الذي يلازمه الخطر المتمثل في أن تنشأ أو تعود إلى النشوءة من جرائه (ذاكرة رسمية) من دون ذاكرة فردية واجتماعية[41]. ويبدو الحالة هنا موافقة لهذا. ولكن ما كان لمثل هذه الممارسة أن تدخل، على أية حال في باب «أشكال تعريض الذاكرة للخطر»، وهي تلك الأشكال التي كان الحديث يدور عنها في البداية.

2) إذا افترض أن المعتقلين العرب عادوا إلى فرنسة أو إلى البلاد التي ولدوا فيها فسوف يطرح نفسه سؤال ما الظروف النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية، السائدة في الأسرة، وفي المجتمعات الدينية المحلية، وفي المجتمعات على وجه العموم، وربما أثرت، أو، على الأقل أسهمت في عدم الحديث عن أقاصيص آلامها أو في أن هذه لو كانت سُردت بالفعل، لما انتشرت.

أما من حيث المبدأ فهو تواجه الحواجز العالية التي عاقت وما تزال تعوق المعتقلين من البلدان الحضارات الأخرى، عن الحديث

عما (لا ينبغي أن يقال)، أو عن الكتابة عنه. لقد كان من الجائز للمعتقلين العرب، أن يكونوا أحسوا بذكرياقم هذه، إحساسا أقرب إلى أن يجعله، «بعيدًا عن السمة البطولية»، كذلك الذي تشير إليه ألايدا أسمَن، بالإشارة إلى لورنس لانغر، بأنه سمة مميزة لـ(الأنا المتدنية)، أو للكيان غير مؤهل للتمكن من تجاريبه المؤلمة التي أحدثت فيه جروحا، من جراء الافتقار إلى السيطرة على المصادر الذهنية والروحية، التي «وقعت فريسة للإرهاب النازي»[43]. ففي المجتمعات الإسلامية التي عاد إليها بعض المعتقلين، ربما أسهمت، فوق ذلك، ظروف أخرى، متباينة في جعل أقاصيص آلامها تظل غير مسرودة. وتذكر أنغليكا نويفيرت، وأندرياس بفلتش، أن الإسلام سدَّ الطريق في وجه التقييم الزائد عن الحد للتجربة المنطوية على الآلام عن طريق وضع الحدود للإعراب عن الحزب والأسى الانفعالي[44]. أما شيلا هنّا كتس فتقول، على لسان شاعر فلسطيني يقول محتجـا، [ما معناه]: إن الرجل الحقيقي ليس أمامه إلا إمكانيتان: أن يعيش حياة كريمة، أو يموت مقاتلاً من أجلها[45]. أولا يجب أن يفهم هنا تحرُّج رجل، كان يعيل أسرته، بصفته مهاجرًا في طلب العمل، إلى فرنسة، ثم يدع ألمانيا تخطب ودَّه ليكون عاملاً أجنبيـا، وينتهي، من جراء ظروف مختلفة، موصوفة هنا، في معسكر اعتقال، أو سجن، من أن يسرد في دياره حكاية معاناته، التي كانت خليقة أن لا تفهم على أنها مجانبة، للسمة البطولة كل المجانبة، فحسب، بل أن تُفهم أيضـا على أنها حكاية إخفاق غير مُشرف؟.

3) ولو افترضنا أن المعتقلين الجزائريين عادوا بعد تحرُّرهم مباشرة، إلى وطنهم، لكان لابدَّ لهم من أن يشهدوا، في الثامن من أيار (1945 م)، على وجه الخصوص، أي: في يوم الانتصار على النازية، موجهة إرهاب فرنسية تطغى على الجزائر فتفيض بها، وتكلف مواطنيها خسارة حياة (40000) نسمة. وربما حدَّت هذه المجزرة، مثلما فعلت حرب الجزائر التي تبدأ بعد سنوات قلائل، من قيمة تجاريب المعتقلين الجزائريين في معسكرات الاعتقال، أي: أكثر من نصف المعتقلين العرب، بالنظر إلى

الضحايا الجدد الذين لا حصر لهم، وإلى آلامهم، كما حدَّت من قيمة معاناتهم، وأزاحت جانبـــا ذكرياتهم عن الاعتقال، بل ربما أطفأت جذوتها. وحتى حروب الاستقلال التي سرعان ما اشتعلت نيرانها في بلدان عربية أخرى، أنشأت فئات جديدة من الضحايا بين صفوف السكان، التي سوف تملأ في المستقبل الذاكرة الجماعية لدى شعوبها وتطبع بطابعها الذاكرة التي أضيفت عليها السمة المؤسساتية.

4) لقد أسهم الصراع بين العرب وإسرائيل الذي نشب عام (1948 م)، أيضـــا، في نسيان ضحايا النازية من العرب. وذلك أنه فصل، من ناحية أولى، بين تاريخ معاناة ضحايا النازية من العرب، ولاسيما أفارقة الشمال والعراقيين، واليمنيين اليهود، ورفاقهم في الاعتقال، ومواطني بلادهم المسلمين والمسيحيين، إذ ذاب الأولون (أي: اليهود) في ذكريات شعب آخر، هو الشعب اليهودي، وما زالوا حتى اليوم جزءا من الذاكرة اليهودية الذي تذكرهم بالإبادة الجماعية[13]، وابتعث، من ناحية ثانية، لدى كلا الجانبين ميلاً إلى احتكار الضحايا لنفسه[14]، كان يعني، لدى الجانب العربي، فيما يعنيه، الاستهانة بالمحرقة، أو إنكارها (وإنكار ذلك، في آخر الأمر فيما يتعلق بمواطنيه)، كما كان يعني لدى الجانب الإسرائيلي، على ما يبدو، أيضـــا، تجاهل الضحايا العرب الاضطهاد والنازي، بل إنكارهم، ولنقدم مثالاً على الأمر الأخير.

ففي الموقع التذكاري لمعسكر الاعتقال الواقع في ولاية ثورنجيا، عند متلباو-دورا، يتم التذكير، كما أسلفنا القول، بحروف من الفولاذ، بالمعتقلين المنتمين إلى دول عربية. وفي لحظة ما، بعد الانعطافة السياسية في الجمهورية الديمقراطية الألمانية، أي: عام (1992 م) على ما يظن، يُروى أن دبلوماسيـــا إسرائيليـــا، يرى، وهو يقوم بجولة في أنحاء المعسكر السالف، هذا النفس، الذي لا شك في أنه لم تجرِ صياغته على نحو موفّق، في إجماليته، ويطلب من إدارة الموقع التذكاري إبعاده. وقاومت الإدارة هذه الرغبة، بل طلبت البراهين التي يمكن أن تسوغ الكلمات التي تسبب الصدمة، وبحثت في مصادر المحفوظات المتوافرة لديها، عن أسماء، مثل علي، وأحمد، ومحمد، ومصطفى. وحين عثرت على هذه

الأسماء التي وُلد أصحابها في بلدان عربية، أرسلت نسخاً مصورة من الوثائق إلى الدبلوماسي المذكور، وما عاد يُسمع عن هذا الشيء، (وفي هذه الأثناء عثرتُ، في معسكر اعتقال متلباو–دورا، على (22) جزائرياً وثلاثة مغاربة واثنين من تونس وثلاثة عشر عربياً، من المعتقلين الذين يلف الغموض أصولهم).

5) ومن دون أن نترع إلى أن نحمِّل هذه القصة فوق ما تحتمل، فهي توضح كيف تتم، في ظل ظروف الصراع العربي الإسرائيلي، ممارسة «التذكر» وبالتالي (سياسة التاريخ)[49]. وذلك أنها تنشأ في إطار عملية يسميها كسلك العبور من «التجربة الأولية» للجيل الذي عانى، وهو هنا جيل المعتقلين العرب، إلى الذكرى التي أضفيت عليها السمة المؤسسية، التي تدوِّنها «التجربة المبنية على تحليل الأداء السابق للأجيال الحالية»[50]. وتعبِّر الايدا أسمن، من جانبها، عن هذه العملية بعبارة بديلة، (إذ تقول: «حيثما كانت هناك ذاكرة ينبغي أن ينشأ تاريخ»)، وتحتج قائلة: «إن الذاكرة ليست وعاءً سكونياً، تُحفظ فيه التجاريب من دون أن يطرأ عليه تغير»، بل يحدد المجتمع أطر التعلق، ونماذج التفسير، من أجل الماضي، جديدة دائماً. وهذا ما يحدث بالطبع أيضا في حالتنا.

وعلى حين لم يَلفت إنكار وجود ضحايا للنازية من العرب، الانتباه العام، حتى الآن، ولا بأدنى مقدار، من حيث كونه جانباً من جوانب الاحتكار الإسرائيلي لضحايا النازية، يُناقش إنكار العرب، المزعوم والفعلي، المحرقة من حيث كونه جانباً من جوانب احتكارهم الضحايا، على نطاق واسع وبحماسة مطلقة العنان[52]. وما من شك في أن هذا أمر مشروح، ولكن الجانب الماكر الغادر في هذا الإعلان عن سياسة التاريخ والذكرى، هو أنه ينطوي، على الأقل، على جانبين مختلفين:

- الجانب الأول: هو أن الصراع نفسه، الذي أسهم في نسيان التجاريب العربية المنطوية على الآلام في ظل النازية، كما نرى الآن، يتيح الفرصة لتحويل هذا النقص في الذكرى، عن طريق التزييف، إلى نقص حقيقي، أي: إلى غياب الآلام، وبالنتيجة، أيضاً، إلى عدم جود الضحايا.

- **الجانب الثاني: فهو أنه مَكّن لتجاريب المرتكبين العرب، مع ألمانيا النازية، وذكراها من أن تطبع بطابعها، بطريقة تخشى عواقبها، كتابة التاريخ المعاصرة في بلدانهم، وهي الكتابة التي لا يرد فيها ذكر للضحايا، أيضـــاً.**

ونقول، لكي نزيد النقطة الأخيرة وضوحـــاً: إنه بينما كان كل الساسة والعسكريون المثقفون العرب الذين يُعوِّل عليهم، تقريبـــاً، والذين كانوا، في الثلاثينيات والأربعينيات، على اتصال بدول المحور، على مستويات مختلفة وبمفعول متباين، وقد نشروا في هذه الأثناء ذكرياتهم المتعلقة بهذه الاتصالات، لم تُنشر حتى اليوم تجاريب العرب الذين عانوا في ظل النازية والفاشية. وعلى هذا فلا وجود إلا للحديث عن الفاعل المذنب، الذي تنقصه الضحايا. وهذا ما ينعكس أيضـــاً، بوضوح، في أدبيات التاريخ العربي الذي يكتب بأقلام كتاب عرب، حول العلاقات العربية-الألمانية بين عامي (1933 و1945 م)، إذ تظهر في هذه الأثناء، في الحقيقة بعض اللهجات النقدية، الداعية إلى تعاون الساسة الوطنيين مع دول المحور. ومع ذلك فما من شيء يُقرأ عن ضحاياهم هم، أي: عن ضحايا النازية من العرب، فضلاً على أن يُقرأ شيء من المقاتلين ضدها[53]. وهنا تفرض نفسها بإلحاح، الفكرة القائلة إنه في المجتمع الذي يتم فيه إيلاء الكلمة المكتوبة (سمة القُدسيَّة) بكل معنى الكلمة، كما تقول جُسلين دخليا، لا يكون النسيان بالفعل، وَظيفيـــاً، فعالاً فحسب، وحيثما تكون المسألة، فيما ترى، كما لو كان «المؤرخون والقائمون على أمر المخطوطات هم المالكون الوحيدون للذكرى، والمفوضون الوحيدون في شأنها»، يبدو النسيان، على وجه الإطلاق، كما تستنتج هي، «بنيويـــاً» أيضـــاً[54].

وحين رفض ياسر عرفات، في عام (1998 م) أن يقوم بالزيارة المقررة لمتحف المحرقة في واشنطن، كتب إلي فولغلرنتر في صحيفة (ذَجرُسَلِم بوست/ The Jerusalem Post) تعليقـــاً بعنوان (تعلُّم رؤية العدو من حيث كونه

ضحية). وجاء فيه، ضمن أمور أخرى، الحدي عن جهود إيريت أبرمسكي-بلغز، في (ياد فاشيم)، «لتلقين العرب الإسرائيليين الدروس في مسألة المحرقة»[55]. ولا شك في أن هذا الطموح يتعين تقديره تقديرًا عاليـــا للغاية. وبالطبع فأنا لم أسمع شيئـــا عن بذل الجهد، لانبعاث ذكرى ضحايا الإبادة الجماعية النازية من العرب، في أذهان الناجين منها.

ومن الواضح للعيان أن الأبحاث المتعلقة بضحايا النازية من العرب ما تزال في بدايتها الأولى. وقد كان يجدُرُ بها أن لا تقتصر بالطبع على المعتقلين في معسكرات الاعتقال، الذين تمّ عرض النتائج الأولية بصددهم هنا، بل يحسُن أن تشمل فئات أخرى من الضحايا، كعمال السخرة، وأسرى الحرب[56]. وأخيرًا فقد كان من الواجب أن يتوجه النظر أيضـــا إلى أمثال هؤلاء العرب الذين ناضلوا نضالاً فاعلاً ضد النازية والفاشية، كالمدافعين عن الجمهورية في الحرب الأهلية الإسبانية (1936 - 1939 م)[57]، والمشاركين في المقاومين الفرنسية، وفي المقاومة في البلدان المحتلة الأخرى، وكذلك إلى الجند والضباط في جيوش الحلفاء. على أن إعادة التركيب هذه، لتجاريب ضحايا النازية من العرب، والمناضلين الناشطين ضدها، وبالتالي إعادة تركيب ذكراها، ليست وصية فحسب، بل ربما أمكنها أن تكون إسهامـــا في إعادة النظر في تلك الفترة من التاريخ العربي-الألماني بين عامي (1933 و1945 م)، وفي كتابة تاريخها، بل في كتابة هذا التاريخ من جديد، من بعض الوجوه.

* * *

2] الخطاب المكبوت:
ضحايا النازية من العرب[1]*

قبل نحو عشر سنين كتبت إينا فريدْمن، في التمهيد لكتابها المخصص لضحايا النازية من غير اليهود، بعنوان «الضحايا الآخرون/ The Other Victims»، تقول: «يعتقد كثير من الناس، بعد المحرقة، أن ضحايا النازية لم يكونوا إلا يهودًا فحسب، وليس هذا بالصحيح. ففي الوقت الذي كان النازيون يقتلون عمدًا ستة ملايين من اليهود في المحرقة، كانوا يقتلون، أيضـًـا، خمسة ملايين من المسيحيين، وبطرق مدبّرة»[2]، أما المسلمون، أو الهندوس أو البوذيون أو الشنتيون، وحتى الملاحدة، إذا شئنا أن نظل في إطار الاستعمال اللغوي للكاتبة، فلا يوجدون إلا خارج دائرة نظر الكاتبة.

وهذا الظرف يُفترض هنا أن يستثير من النقد أقل مما يثيره من لفت الانتباه إلى الظرف الخاص بمدى ضآلة ما لا يزال يجري الإحساس به من قبلنا، بأناس خارج نطاق حضارتنا المسيحية-اليهودية، على أنهم معنيون،

تمسُّهم المسألة، ولاسيما من حيث كونهم ضحايا الحكم النازي. وهذا يمسُّ العرب، الذين يتناولهم البحث هنا، مثلما يمسُّ أتباع شعوب أخرى، إفريقية[3]، وآسيوية، كانوا يوجدون بين عامي (1933 و1945 م)، في مجال سلطان النظام النازي ونفوذه. على أنَّ لقاءاتهم معه لم تجد حتى اليوم، مكانـــاً في الذاكرة الجماعية للشعوب، بما في ذلك شعوبهم هم، مادامت المسألة لا تتعلق بشعوب المتعاونين، مثل التابعين للمفتي. أما آلامهم في ظله، وحتى كفاحهم ضد النظام، فمازالا يوجدان في (زاوية ميِّتة) من الذاكرة.

ولهذا أسباب، عامة وخاصة. فإلى جانب أفق الأجيال التالية الذي يبدو للعين شديد المحدودية من الوجهة الثقافية والتاريخية والسياسية، مازال يدخل في هذا الكتاب أيضـــاً طاقة تصوُّرهم التي ما زالت غير كافية بلا ريب لشمولية القبضة، وتعدُّد طرائق الملاحقة والقمع، في النظام النازي. ويأتي في مقابل هذا أن ذكريات الضحايا غير اليهود، وغير المسيحيين، وبالتالي، غير الأوروبيين، للقمع النازي، لم تدوَّن إلا فيما ندر، وتعدُّ في حكم ما لم يجر نشره على الإطلاق، خلافـــاً للظاهرات التي تُذكَّر بالمتعاونين، والتي نشرت في مرات جد كثيرة نسبيـــاً، وأن هذه لا تجد في مذكرات رفاقها الأوروبيين في المعاناة إلا قليل من الإشارات إليها وإلى مصائرها.

على أن هذه الأشكال العامة من (تعريض الذاكرة للخطر) أضيف إليها بعد نهاية الحكم النازي، في سياق الصراع العربي الإسرائيلي، شكل آخر خصوصي: ألا وهو سياسة في التاريخ، وسياسة في التذكُّر يحاول أبطالها أن «يحتكروا وضعهم بصفتهم ضحايا»[6]، وأن يجنحوا، في هذا الصدد، وفي الوقت ذاته، إلى تقدير آلام أولئك الذي ينتمون إلى الجانب الآخر، في كل حالة على حدة، في أيام النازية، دون قدرها، أو تجاهُلها، أو حتى إنكارها[7]. وقد أسهمت هذه السياسة إسهامـــاً جوهريـــاً في عدم التحدُّث، أو الكتابة، في أي مكان، عن ضحايا للنازية، من العرب، وعن خصوم للنازية،

والحق أن هناك حديثاً أن كتابة عن المذنبين من العرب، ولكن لا يوجد حديث أو كتابة عن الضحايا العرب.

وإذًا فالمطلوب منا أول الأمر، إذا ما أردنا أن نغير هذه الحال، أو نصل إلى شيء من قبيل العدالة التاريخية، أن نعيد تركيب ذكرى الضحايا، ويوجد تحت تصرفنا، من أجل ذلك مصادر، هي على الأغلب سجلات ومحفوظات، ترجع في الشطر الأكبر فيها، لا إليهم أنفسهم، بل إلى مضطهديهم ومُعَذِّبيهم. وعند النظر في هذه المادة وتقويمها تصادف المرء أشكال أخرى من «تعريض الذكرى للخطر» ينجم أكبرها عن الظرف المتمثل في أن فيها عربـــًا على نحو مماثل بدقة لوجود منتمين إلى شعوب إفريقية وآسيوية أخرى، كانوا يُسجلون في العادة بصفتهم رعايا الدولة الاستعمارية الأوروبية، المعنية بهم في كل حالة على حدة، ومن ذلك أن قائد منظمة (وحدات الدفاع) في الرايخ ورئيس الشرطة الألمانية، هاينرِش هِملر، أصدر تعليماته، في (1939/09/11 م)، في رسالة عاجلة إلى قيادات سجلات البطاقات، بأن تستعمل الدوائر، في حالة المنتمين إلى مستعمرات، أول دول واقعة تحت الانتداب، أو محميات للدول الاستعمارية» بطاقة السجلات «باللون الخاص بالوطن الأم»[8]. وحين يتمُّ الترميز بهذه الطريقة، تبعـــًا للانتماء إلى الدولة المستعمِرة، يبدو العرب، وليسو وحدهم فحسب، وليس في الأضابير النازية فحسب، على الأغلب، فرنسيين. وفي بعض الأحيان يبدون «إسبانـــًا» أو «إيطاليين» أو «بريطانيين»، وبذلك يتم حجبُ تميُّزهم القومي، ولايكاد يكون من الممكن الكشف عنه إلا عن طريق الاسم.

وبَحَثْتُ، وأنا بين يديْ هذه الخلفية، على وجه الخصوص، في المحفوظات البلجيكية والألمانية والنمساوية، عن ضحايا النازية من العرب[9]. وأنا أقصد بذلك أناســًا كانت لهم، على وجه الخصوص، في ألمانيا وفي أوربة المحتلة، لقاءات مباشرة، تشكل خطرًا على الحياة في الغالب، وهي على أي حال

لقاءات تصل إلى الحد الأقصى، مع جهاز القمع النازي. على أن المراجع تتيح لنا أن نميّز، على الأقل، ثمانية من المواقف القمعية العنيفة، وبالتالي ثماني مجموعات من الضحايا لا يكاد يجري التحقيق فيها حتى الآن أو لم يجرِ فيها تحقيق أبدًا، وأنا أشرحها بالاستناد إلى أمثلة، وأسميها في تسلسلٍ يحاول أن يراعي ما يشبه التسلسل الزمني للمواقف ووطأة المعاناة المتصاعدة المرتبط بها، على المعنيين.

2/ 1) معاناة ومضايقات وإيذاء واضطهاد المهاجرين

العرب إلى ألمانيا والنمسا قبل الحرب العالمية الثانية

لم يجرِ التحقيق حتى الآن، في أي مكان، بأسلوب منهجي، في تجاريب العرب وألوان معاناتهم مع النازيين قبل السنوات الأولى من حكمهم وفي أثناءها. وما يُعرض هنا في خطوطه العريضة إنما هو حالات متفرقة، ولكن لابد من النظر إليها على أنها أعراض ذات دلالة، وما من شك في أنها ليست ماثلة وحدها هنا.

في كانون الثاني، من عام (1932 م) أبلغ (رابطة الطلبة المصريين) في غراتس قنصلية بلاده في فيينا، أن النازيين استفزوا بعض أعضائه بالإهانات، وضايقوهم بألوان الإيذاء، وقذفوهم «بأباريق البيرة والكراسي»، وأصابوهم بجروح، وأن «ما يلفت النظر» أن الذين اعتقلتهم الشرطة لم يكونوا الفاعلين، بل كانوا ضحايا الاعتداء فحسب. ووضع القنصل وزارة الخارجية النمساوية في فيينا، في الصورة فيما يتصل بهذا، من دون إرجاء، وانتظر الإجراءات الملائمة. وأوعزت المديرية العامة للأمن العام، المكلَّفة بتجلية الحَدَث، على أثر ذلك، بإجراء تحقيق قضائي انتهى بتبرئة الفاعلين النمساويين. ومع ذلك فقد تجنَّب الحكم إطلاع القنصلية المصرية على المخرج الذي انتهت إليه القضية، «مادام هذا لا يعود على القضية من تلقاء

ذاته». وبالمناسبة فقد كان أحد موظفيهم قد كتب وراء أسماء المصريين الثلاثة الذين تعرَّضوا للاعتداء، بقلم الرصاص، كلمة «يهودي»[10].

وفي شباط من عام (1934 م)، اشتكت المفوضية المصرية في برلين لدى وزارة داخلية الرايخ من أن الطالب فؤاد حسنين هوجم في صالة للرقص في توبنجن، وأهين، لأنه «أسود» ينتمي إلى «عِرق سافل»، ولا يجوز له أن يُراقص "ألمانية"، كما قال الفاعل، وصفق الباب. وظل بلا عقوبة[11].

ومنذ تموز (1933 م)، تساءل الدبلوماسيون قائلين: هل يطبق الحظر الموجود في المدينة ذاتها، الذي يمنع «المنتمين إلى عِرق أجنبي» من استخدام الحمّامات العمومية الموجودة في العراء، على المصريين أيضـــا؟. وفي أيار من عام (1934 م) فحسب، رأت وزارة الخارجية نفسها على استعداد للإبلاغ بأن الحظر يعود على «اليهود» حصرًا[12].

وكانت للمصريين، مصطفى الشربيني وأحمد مصطفى، اللذين راق لهما أن يديرا في الثلاثينيات في برلين، محلّين للجاز والسوينغ، تجاريب مع النظام النازي. والحق أن هذا النظام لم يكن له بدٌّ، باسم انفتاح مزعوم على العالم، قبل الألعاب الأولمبية وبعدها، في عام (1936 م)، أن يتسامح، وهو يقرض أسنانه من الغيظ، في مسألة موسيقى «الزنوج»، التي تعزف هناك، غير أنها سيئة السمعة من الوجهة الرسمية. ومع ذلك فقد حُسِم الأمر خلافـــاً لمفسريها اليهود. وفي هذه الأثناء مارس محرر صحيفة ‹دويتشه بوديُم/ Deutsche Podium›، هانز بروكنر، دورًا ينطوي على الخيانة والغدر بوجه خاص: وذلك أنه لم يكد يعثر على موسيقيين يهود حتى شهَّر هم وشنَّع عليهم وعلى المؤسسات التي ظهروا فيها، علانية، وأدرجهم في اللائحة السوداء في مجلّته. وفي خريف (1935 م) هدَّد هذا الحكم حانة الشربيني، التي كان صاحبها، وهو ذاته من الدَفْيّة، يشغل إلى جانب عازف البوق «الملوَّن» في موسيقى الجاز، هِرْب فلمنغ[13]، عازف الكمان اليهودي، بول فاينَبل. وحين

تم التعبير عن هذا في صحيفة (دويتشه بوديوم)، سحب منافس الشربيني اعترافه بهذا «اللاآري» على عجل، في حانته المدعوة (سيروبار/ Cirobar). وحين لاحظ بركنر هذا، وأشار إلى المحل في صحيفته الآن أيضـًا، تحوَّل فاينبّل في ربيع عام (1936 م) إلى الشربيني من جديد بصمت[14].

أما المدة التي استغرقتها لعبة القط والفأر هذه المنطوية على المجازفة مع أهل الثقافة الأصيلة النازيين، وهل كانت سببـًا لإغلاق بار الشربيني الذي تم بُعيد ذلك، فذلك ما لا يُعرف.

وعلى حين كان مصطفى ينجو بنفسه، على ما يبدو، من بعد زوال نظام النازي، لقيه ممثل مايَرينك، على كل حال، أيضـًا، في نيسان (1945 م)، في برلين[15]، يظل مصير الشربيني غير يقيني، وآخرُ أثرٍ له هو تسجيله اسمه في (السجل الألماني للملاحقة) في (1 آذار 1941 م).

2/ 2) تعقيم من يسمون (الهجناء المغاربة)

ثم إن العرب، وشريكاتهم الألمانيات، وذريتهم، كانت تمسُّهم (قوانين نورنبرغ) الصادرة في عام (1935 م) والناجمة عن السياسة العرقية المتصاعدة لدى النظام. وفي ربيع عام (1937 م)، أصدرت لجنة خاصة تكوَّنت في مقر الشرطة السرية (الغستابو) تعليماتها بوجوب «التعقيم الذي لا يلفت النظر لأنغال إقليم الراين»[16]، وكان يشار بذلك إلى الأطفال والشباب الذين تم إنجابهم أثناء احتلال الحلفاء لإقليم الراين في العشرينات، من جنود "ملونين" ونساء ألمانيات، وكان واردًا لدى مجلس الخبراء في السياسة السكانية والسياسة العنصرية، في وزارة الشؤون الداخلية في الرايخ، نتيجة لعملية تجميع، أن هؤلاء يُفترض أن يبلغ عددهم (385) نفرًا[17]، ومع ذلك تتحدث التقديرات عن (500–800)[18]. وقد تم تعقيم عدد غير معروف منهم في صيف عام (1937 م) بناء على توصية لجان التعقيم على أنهم يحملون «دمـًا

من نوع غريب »، وكان بين أولئك أيضـــاً من يُسمون بالهُجناء المغاربة[19]، وهم أبناء الأفارقة الشماليين، من جيش الاحتلال الفرنسي.

وكان بين التعساء جوزيف ف، ابن السابعة عشرة، من مدينة ماينتس، وقد أشار إليه قرار التعقيم المؤرخ في (12 حزيران 1937 م)، بأنه سليل رجل ينتمي إلى قوات الاحتلال الملوَّنة السالفة (شمالي إفريقية)، تبدو عليه، بصورة واضحة لا لَبْس فيها، سمات أنتروبولوجية تتلاءم مع هذا، وقال: إنه «يتعيَّن تعقيمه من أجل ذلك»[20]. أما مسألة هل كانت لوسي ابنة الرابعة عشرة، من ضحايا التعقيم أيضـــاً، فذلك أمر غير معروف، وقد عُدَّت «غير اجتماعية» ومن «الهجناء المغاربة»، وتمَّ تسليمها في شباط عام (1943 م) إلى معسكر الاعتقال في رافنزبرك.

2/ 3) اعتقال المدنيين العرب عند نشوب الحرب العالمية الثانية

وبعد بداية الحرب مباشرة، أي في (1939/09/05 م)، ورد في «الأمر الإداري المتعلق بمعاملة الأجانب»، الإبلاغ، والتسجيل[21]، وكذلك اعتقال[22] رعايا الدول التي يتم تحديدها بأنها معادية؛ وكان ممن يشار إليهم بهذه الصفة في لوائح التنفيذ ضمن أناس آخرين، سكان المستعمرات البريطانية والفرنسية، والمحميات ومناطق الانتداب مثل مصر، والسودان والعراق[23]. ومنذ تشرين الأول فصاعدًا كان يعتقل على أثر ذلك، في ألمانيا، وفي النمسا التي ضُمَّت، وفي بولندة المحتلة، العرب، ويقضي الجزء الأكبر منهم أيامهم في معسكر الاعتقال (Ilag XIII) في فولتسبورغ باي نورنبرغ، وعلى وجه الخصوص العرب الفلسطينيون والمصريون، وبينما كان القوم يستبدلون، خلال أجل قريب، الأولين، «بيهود فلسطين»، كان الآخرون يُرصدون للمقايضة بالمدنيين الألمان[24]، الذين كانوا قد اعتقلوا في مصر. وكان من هؤلاء المعتقلين الرهائن تسعة من المصريين، بينهم رئيس (غرفة التجارة المصرية الألمانية)، عزيز كُتَّه[25]،

وقد اعتقلوا في (3) تشرين الأول، في برلين، ثم أطلق سراحهم في إطار عملية دعائية ديماغوجية، بعد سبعة أسابيع مقابل ثلاثين يومـًا لإظهار «حسن النية» لدى النظام، كما قالوا، وبهدف اختبار نية الحكومة المصرية فيما يتعلق بالاهتمام «بمصالح المصريين» في ألمانيا، وإطلاق سراح الألمان، من جانبها. وحين لم تستجب حكومتهم رُدوا إلى فولتسبورغ[26].

وحتى في أثناء هذه المناورة أصدر وزير الدولة يواخيم فُن ربنترُب تعليماته باعتقال المزيد من المصريين، وذلك في الحقيقة «بمقدار يكون فيها مقابل كل ألماني معتقل في مصر، اثنان من المصريين لدينا»، وحيث لا يترك حرًا إلا أمثال أولئك الذين لا يمكن إثبات أن نشاطهم ينطوي على فائدة لنا»[27]. ولم تكد تنقضي المهلة حتى أمر هِملَر، في (1940/01/03 م)، باعتقال «كل ذوي التبعية المصرية من الذكور من الذين أكملوا الثامنة عشرة وحتى سن الستين»[28]. ومن جراء الاعتقالات التي بُدئ بها من جديد، ارتفع عدد المصريين المستقرين في فولتسبورغ إلى أكثر من (20%). وفي ربيع عام (1940 م) اعتُقل في لايبتسغ وحدها أربعة كما اعتقل أيضـًا جزائري ولبناني من التابعية المصرية[29]. واستثني العراقيون رسميـًا من الاعتقال[30].

ولم يكن بُدٌّ لمعظم المصريين المعتقلين في (Ilag XIII)، أن يظلوا ماكثين هناك حتى التاسع من حزيران (1941 م)، ولم يستطع مغادرة الرايخ سوى اثنان من الدبلوماسيين، في (1940/07/27 م). وبعد شدٍّ وجذب طويلين بين وزارة الخارجية والفرع الخارجي لمنظمة الحزب [النازي]، أمر فُن ربنترُب أخيرًا بإطلاق سراح المعتقلين، ولم يفعلوا ذلك من دون الإعلان بصريح العبارة عن «مصلحة سياسية كبيرة» كامنة في هذا، كانت هي التي أدت إلى الموافقة على إطلاق سراحهم الآن. ولكي يُصار إلى الاستفادة من ذلك على النحو الملائم، من الوجهة السياسية أيضـًا، ينبغي لنا أن نتشاور مع من أطلقنا سراحهم بأقصى قدر من المودّة، ونستغل طاقة اليد العاملة عندهم.

وأن يأمل أن يحصل رهط ممن أطلق سراحهم، على ما يُظن، «على عمل في الإذاعة وفي الخدمة في المجال اللغوي وربما منحتهم الأوساط العسكرية على عمل». على أن قليلاً منهم استجاب للتوصية وعمل بعد ذلك في خدمة الرايخ. أما الآخرون فكانوا قد زلزلت أجسامهم في أثناء ذلك من جراء الاعتقال، وتضعضعت على نحو كامل، مثل (جورج خ)، وأصبح منهم من هو مصاب بداء عضال في رئتيه، كالشيخ (عبد الحميد أ)[31]. وحتى (لطفي م) الذي تمّ تحويله إلى معسكر الاعتقال (توست باي غلافتس/ Tost bei Gleiwitz, Ilag VIII)، و(توفيق م) الذي تم تحويله إلى (معسكر الاعتقال الحربي الفرعي، فلكتريْه)[32]، لم يستطيعا أن يُقرّا عينـــاً بما استعاداه من الحرية، مثل كُتّا)، الذي ظل في نهاية الحرب في إقليم التيرول رهن الاعتقال في منزله، وغادر آخر المعتقلين المصريين، (رضا أ)، معسكر الاعتقال فولتسبورغ في (1941/07/22 م)[33].

ويدخل في عداد هذه الفئة أيضـــاً من الضحايا التي ظلت حتى الآن لا يُلتفت إليها البتة، من المعتقلين المدنيين، بحارة عرب، كان يتم إنزالهم، منذ صيف (1941 م)، أول الأمر، في (معسكر أسرى الحرب زندبستل)، ثم في (معسكر الإيقاف التابع للقوات البحرية، فسترتيمكه ميلاغ نورد). وكان معظمهم، أي: (112) رجلاً، ينتمون إلى الباخرة المصرية (زمزم) التي نسفتها السفينة الحربية الاستطلاعية الألمانية، المساعدة (أطلانطيس)، بالطوربيد في السابع عشر من نيسان، جنوبي الأطلسي، قبالة الساحل الإفريقي، وكانت تريد، فيما يقال، «نقل بضائع ذات أهمية في الحرب إلى بلد هو في حالة حرب مع ألمانيا»[34]. وفي الواقع كانت السفينة قد استقبلت على متنها، في نيويورك نحو (140) مبشرًا أمريكيـــاً كنديـــاً مع أفراد أسرهم وذويهم، وكانوا يريدون ممارسة نشاطهم في إفريقية[35]. أما سائر معتقلي البحرية العرب فكانوا يرجعون إلى سفن أخرى، منها سفينة الشحن الهولندية،

(بارنفلد)، التي كانت السفينة المدرَّعة الألمانية (الأميرال غراف شير) قد أغرقتها في (20 كانون الثاني 1941 م)، شمالي جزيرة القديسة هيلانة. وكان يوجد، أخيرًا، نحو عشرة من العرب الذين لم تتضح أصولهم أو تبعيتهم، أيضـًا، ونحو (60) من «الفرنسيين الملونين» في المعسكر[36].

وفي البداية كان من المُرجَّح بعد، حقـًا، إطلاق سراح «المعتقلين الملونين»، وبالتالي تحويلهم إلى إيطاليا «الأكثر ملاءمة مناخيـًا». وهذا ما أقنع العامل في قسم الإذاعة السياسية في وزارة الخارجية، كورت مُنتسِل، الذي زارهم في بداية آب، المعنيين بالأمر بالعدول عنه، وبث تحيات البحارة، المسجلة على أسطوانات، إلى ذويهم، لأنهم لن يكونوا في حالة انسجام «في حالة نقل هذه التحيات، الدعائي، في إذاعاتنا الناطقة بالعربية الفصحى»، وتمت التوصية، للأسباب الدعائية ذاتها، بإطلاق سراحهم قريبـًا. وفي تشرين الأول التمست الوزارة من السفارة الألمانية في روما، الاستفسار عن إمكانية استقبال إيطاليا المعتقلين، وتلقت في نهاية كانون الأول، جوابـًا بالرفض[37].

وحتى قبل ذلك، أي: في (29) أيلول، كان آمر المعسكر، شبيس قد أصدر توصية بمقايضة معتقلي البحرية المصريين بالمدنيين الألمان في مصر الذين لم يعودوا بعد. وبعد أسابيع قلائل انضمت القيادة العليا للبحرية إلى هذا الاقتراح، وساندت فكرة المقايضة «بعدد مماثل، أو عدد أعلى» من الألمان، وبذلك حلَّ البحارة المصريون، هكذا، فجأة، محل مواطنيهم الذين أطلق سراحهم من فولتسبورغ، وتحولوا، من جانبهم، إلى معتقلين في صورة رهائن[38].

كان مصيرهم أصعب نسبيـًا، إذ لم يكن لهم بدٌّ من أن ينتظروا واحدًا، هو طبيب السفينة الذي تمت مقايضته في صيف عام (1943 م) بعد تحويله إلى معسكر اعتقال (لاوْفن باي تراونشتاين)، لا فترة أطول من تلك الفترة فحسب، ليتم إطلاق سراحهم، بل عانوا بعد معاناة أكبر مما عانى أولئك، البرد والأمراض، ومات ثلاثة منهم على الأقل في الاعتقال[39]. ودخل واحد

منهم في خدمة المفتي الحاج أمين الحسيني، وحاول بعض الآخرين تحسين حظهم في صورة عمال أجانب في برلين، وبرمن وفيينا.

وفي نهاية عام (1944 م) فحسب أطلق أخيرًا سراح (98) من أفراد طاقم السفينة (زمزم) ومعهم نحو اثني عشرة من مواطنيهم الذين كان سبق اختيارهم من عدد أكبر بمدى شاسع، من المصريين «الراغبين في التبادل»، من الرايخ (أي: ألمانيا)، ومن النمسا، ومن محمية (بومن وميرن 'أي: بوهيميا' [حاليــًا جمهورية تشيكيا. ز م])، ومن أوربة الغربية المحتلة، وجيء بهم في آب، إلى الموقع الحدودي البلغاري (سفلنغراد)، ليُدفع بهم إلى تركية في عملية مقايضة مع الألمان المعتقلين في مصر. ومع أن إعلان بلغاريا الحرب على ألمانيا أخَّر هذا الإجراء، فقد أتيحت للمصريين، في تشرين الأول عام (1944 م)، على أبعد تقدير، إمكانية العودة إلى وطنهم. أما ما صار إليه أمر سائر الرفاق الراغبين في العودة فغير معروف. والحق أنهم حاولوا، في تموز، الوصول إلى المقايضة أيضــًا عن طريق مساندة المفتي، وكذلك عن طريق مساندة الدبلوماسي الألماني فِرنر أُتو فون هِنتِش، ولكن الملفات لا تقدم معلومات عن حدوث هذا.

ولا يُعرف على الإطلاق كم بلغ عدد المعتقلين من المدنيين العرب في أثناء الحرب العالمية الثانية، في ألمانيا، وفي المناطق المحتلة، كما أن البحث عن ضحايا النازية هؤلاء تجعله صعبــًا حقيقة أن كثيرًا من هؤلاء يمكن أن يُشار إليهم في الوثائق، كما لاحظنا ذلك في البداية، بأنهم فرنسيون (وبريطانيون).

2/ 4) وقوع الجنود العرب، ولاسيما جنود الشمال الإفريقي، أسرى حرب

وأمثال هذه الصعوبات في التعرف والتمييز تنطبق، بالقدر ذاته على فئة الضحايا التي يُظن أنها الأكبر حجمــًا، ألا وهي فئة ضحايا أسرى الحرب

من العرب. وذلك أنهم يُشار إليهم في المصادر غير المنشورة (واليوم) أيضاً، في المصادر المنشورة، من دون استثناء تقريباً، بأنهم أتباع الدول التي خدموا في جيوشها؛ أي: إنه يُشار إلى الجزائريين، والمغاربة، والتونسيين، المنتمين إلى الجيش الفرنسي، بأنهم فرنسيون. وتم تدعيم هذه الممارسة أيضاً بأمر من القيادة العليا للقوات المسلحة (OKW) مؤرخ في (16 حزيران 1941 م)، جلّى «الشكوك التي تثور مراراً بصدد تبعته أتباع القوميات الأجنبية»، بقوله: «إن الزي الرسمي العسكري من حيث كونه إشارة خارجية إلى التبعية للقوات المسلحة المعنية، هو الذي يفصل في الأسرى[41]. ويضاف إلى ذلك أن أسرى الحرب العرب، الذين ينتمون إلى الشمال الإفريقي على الأغلب، كانوا يعدون في الإحصاءات الألمانية مقرونين مع أهل السنغال ومدغشقر وسائر الأفارقة، وكذلك الفيتناميين، في كثير من الأحيان، إجمالاً، من «السود والملونين»، ما يزيد في صعوبة تمييزهم.

وفي أثناء الحملة العسكرية الفرنسية، وبعد الفراغ منها، كان يتم إيواء «الملونين»، وفيهم أسرى أفارقة الشمال، من الجيش الفرنسي، في معسكرات خاصة بالجبهة مخصصة لكل جنس على حدة (Fronstammlagern, Frontstalags) كانت أقيمت على الأرض الفرنسية المحتلة، وكانت المسألة تتعلق، في هذا الصدد، قبل كل شيء بالمعسكر (121) (إبينال)، و(122) شومون، و(124) جوانيي، و(132) لفال، و(133) رِن، و(135) كيمبر، و (141) فيسول، و(153) شارتر، و(161) نانسي، و(181) سومور، و(184) أنغوليم، و(190) شارلفيل، و(194) شالون-سر-مارن، و(195) أُنس-لاهاري، و(200) فرني، و(221) سان-مدارد، و(222) وبيون-أنغليه، و(230) بواتييه، و(232) سافيني-لوسُن[42].

ومع أن الحديث يدور في المصادر، عن أن أسرى الحرب «الملوَّنين» قد تم إبعادهم عن حدود الرايخ[43]، فإنه كان يتم إيواء كثير منهم، أول الأمر، في معسكرات أسرى الحرب الذين هم دون مرتبة الضباط (Stalage)، وفي

الرايخ القديم، وفي النمسا التي ضُمَّت، وفي المعسكرات المخصصة لكل جنس على حدة المقامة في بولندا. وبصرف النظر عن معسكرات ستابلاك، وهونشتاين، ونويبرندنبورغ، وهمرشتاين، وستارغارد، ولكنفلده، وفرستنبرغ/أودر، وملبورغ، وإلسترهرست، وموزبورغ، وزغان، وتسيغنهاين، وألتنْغرابوف، وفلنغزبستل، ونورنبرغ، وكيزرشتاينبرُخ، وغنيكسندورف-كرمس، وتُرن، وشيلدبرغ، وفلشتاين[44]، كان أسرى الحرب العرب، كما ثبت، أيضـــًا، يعودون إلى المعسكرات المخصصة لكل جنس على حدة، وهي برلين، وهونشتاين، وهمر، ونوي-فرزن، وباڤُرن، ودورتمند، وزندبستل، ولمبورغ، وفرنكنتال، وبليزمينغن-بلشن، وماركت بونغاوْ، وكذلك معسكرات الضباط المصنفة تبعـــًا للأصل (Offiziersstammlager, Oflags)، وإلسترهُرست، وسست، وإدلْباخ. أما أفارقة الشمال، وكذلك المصريون والفلسطينيون والسوريون الذين أُسروا، على وجه الخصوص، عند زحف الحلفاء على أيطاليا، في عام (1944 م)، فقد جيء هم إلى المعسكرات المخصصة (Stalags) ألتنبورغ، وأفنبورغ، ولمزدرف، وسغان. وأما المعسكر (Stalag 194) في غتنهايم، في المنطقة الدفاعية الخامسة، فكان يستوعب حوالي نهاية الحرب، فوق ذلك، "الملوَّنين" من المعسكرات التي تم إخلاؤها في فرنسة وبولندا والنمسا[45].

وباستثناء نزلاء المعسكرات المذكورة أخيرًا، كان يجري تحويل الأسرى «الملونين»، بما في ذلك الأسرى العرب الموجودين في معسكرات العقاب (Stalags)، بدءًا من شتاء عام (1940 م)، خطوة فخطوة، وحتى نهاية عام (1942 م)، إلى معسكرات العقاب على الجبهة، ويجري تجميعهم في النهاية في المعسكرات الملائم من الوجهة المناخية (184، 195، 221، 222) بما في ذلك الواقعة في جنوبي فرنسة. ودخل في هذا الباب أيضـــًا الأسرى الحربيون البالغ عددهم (115)، من الشمال الإفريقي، (61) جزائريـــًا، و(52) مغربيـــًا، وتونسيان، والذين تم تحويلهم بين تشرين الثاني عام (1943 م) وحزيران (1944 م)

من المعسكرات العقاب على الجبهة، في شمالي فرنسة، في شارتر، ورن، وكذلك من ألديرنيّ، إلى جزيرة جرزي الواقعة في بحر الشمال[46].

ولا يتوافر الوضوح في صدد أسرى الحرب العرب، من قبل ومن بعد، وعلى وجه الخصوص، أسرى شمالي إفريقية. أما السبب الرئيس في ذلك فهو الإجمال الذي سبق الحديث عنه، والذي كثيرًا ما يمارس في الإحصائيات الألمانية، عند الحديث عن «السود الملوَّنين» في معسكرات العقاب، على الجبهة، وفي معسكرات العقاب في الداخل، والاستعمال الخالي من أي عوائق أو اعتبارات، لأرقامها، في المراجع. ولم يجتهد سوى بلقاسم رحام في مراجعة المعطيات المتباينة وتدقيقها، حيث لم يُراعِ في أثناء ذلك معسكرات العقاب، بالطبع[47].

وعلى أساس أبحاثه، وحساباتي الخاصة، يمكن إعادة تركيب الصورة التالية، مثلاً: كان يوجد، من بداية الحرب إلى الاستسلام الفرنسي، في حزيران عام (1940 م)، في معسكرات العقاب في الجبهة، نحو (67400) من أسرى الشمال الإفريقي[48]. وفي معسكرات العقاب في شهر ماي المذكورة آنفـًا (ولم أستطع أن أجد الأرقام من أجل المعسكرات التي توصّلتُ إليها، حتى الآن بصورة إضافية)، سُجِّل، في الوقت ذاته (28722) «ملوَّن». فإذا أدخل المرء في حسبانه، أن نحو (65%) من المذكورين في الإحصائيات «سودٌ وملوَّنون»، كما تدل على ذلك الخبرة والتجربة، أضف إلى ذلك حوالي (1875) أيضـًا، ويأتي الرقم الناتج عن هذا، وهو (86100) أسير، قريبـًا من الرقم الذي يذكره إيف شاتيل (Yves Chatel) في كانون الثاني (1941 م)، ويشكّك فيه بلقاسم بغير وجه حق، كما هو ظاهر للعيان، وهو (90000)[49].

وإذا أدخل المرء في حسبانه أنه قد تم، فيما بين آب (1940 م) وشباط (1941 م)، إطلاق سراح (38145) «ملوَّن»، يُقدَّر أن بينهم (24800) أسير حرب من شمالي إفريقية[50]، أطلق في تموز (1941 م) سراح نحو (12000)

آخرين[51]، نجم عن ذلك عدد يصل إلى نحو (49300) نسمة. وهو رقم يأتي قريبـًا من الرقم الذي ينقله بلقاسم، عن تشرين الأول، وهو (44000)[52]. وقد تضاءل حتى نهاية عام (1941 م)، ولاسيما من جراء تسريح المرضى وأرباب الأسر، حتى وصل إلى (39000)[53]. وحتى خريف عام (1943 م) كان يتراجع عدد الأسرى، على وجه الخصوص، عن طريق التبادل (Releve) وتبدُّل الوضع[55]، وكذلك من جراء الهرب[56]، إلى أن وصل إلى ما لا يكاد يبلغ (22000) أسير، مرتدًا إلى الوراء ارتدادًا أبعد[57]، ليتصاعد في صيف (1944 م)، مرة أخرى، فيبلغ (25000) وحتى (35000)[58]. وكان السبب في ذلك أسرُ أفارقة الشمال والجند العرب الآخرين من جيش (فرنسة الحرة)، ومن الجيش البريطاني، ولاسيما عند زحف الحلفاء في إيطاليا.

أما معاملة أسرى الحرب من العرب في المعسكرات فلا يتوافر عنها حتى الآن إلا القليل من المعلومات المؤكدة. فلا المخطوطات التي يتم تناقلها بقدر غير كاف، ولا التحاريب المنشورة لشركاء في الاعتقال من «البيض»، ولا مراجع البحث، يُقدِّمْن حول هذا ما يكفي من المعلومات، فضلاً على مسألة كون هذه المعلومات محصَّلة بأسلوب منهجي، ولا تكاد تُعرَف ذكريات العرب عن الأسر.

لقد كان يتم إنزال أسرى الحرب من العرب، مثل غيرهم من «السود والملوَّنين»، في المعسكرات المتخصص (Stalage) في الجبهة[59]، ويُظن أنه كان يتم إنزالهم أيضـًا في معسكرات العقاب في الداخل، في الأقسام الخصوصية. وكان هذا الإيواء يحدث على نحو متوافق مع اتفاقية جنيف الخاصة بمعاملة أسرى الحرب، والمبرمة في عام (1929 م)، التي يترتَّب بموجبها العمل قدر الإمكان على تجنُّب وضع الأسرى الذين ينتمون إلى أعراق وجنسيات مختلفة في معسكر واحد»[60]. كما كان تحويل الأسرى من معسكرات العقاب (Staglage)، وأخيرًا تركيز وجودهم في جنوبي فرنسة، ما

دام ذلك يتماشى «لأسباب مناخية»، مع اتفاقية جنيف[61]. وبالطبع فإنه لا يمكن أن يغيب عن بالنا أن تحويل الموقع إلى «مناخ أكثر دفئاً» كان يرتبط، على وجه الإطلاق بمتطلبات تمسُّ الاقتصاد الحربي، لقد كان من الممكن، كما قرَّرت ذلك (القيادة العليا للقوات المسلحة*/ OKW) في أيلول (1942 م)، أن يتم إرجاع أفراد معينين، مع مراعاة جهد العمل المبذول، ولاسيما في الزراعة[62].

ثم إن إطلاق سراح أسرى الحرب من الشمال الإفريقي لم يكن، كذلك، مجرد تصرُّف إنساني بموجب اتفاقية جنيف[63]، بل كان يُدخل في الحسبان وجهات النظر المتعلقة بالاقتصاد الحربي مثلما كان يُدخل فيه وجهات النظر الدعائية أيضاً: وكما أكدت السفارة الألمانية في باريس لوزارة الخارجية، في تشرين الأول، «ما كان هذا التحرير الأسرى ليعني إثقالاً على سوق العمل» وفي الوقت ذاته، كان «في نطاق ضيِّق من أجل الإسهام في تحسين الحالة النفسية في شمالي إفريقية»[64]. وسرعان ما أضيف إلى ذلك شيء آخر. فحين أوصت الوزارة، بعد نزول الحلفاء في شمالي إفريقية، في تشرين الثاني عام (1942 م)، بإطلاق سراح أسرى حرب آخرين من الجزائر والمغرب، حدث هذا مقترناً بالتوقُّع الصريح لأن يتطلَّعون بحرارة وحماسة، إلى العودة إلى موطنهم، بعد حدوث تعديل سياسي» وأن يحدث احتكاك غير مستحب مع (سلطات جيرو)، وأن لا يكونوا مستعدين للخدمة العسكرية بحال من الأحوال، وأن يثيروا لدى الفرنسيين أشكالاً من التبرُّم، وتكدير الصفو»[65]. وإذًا فقد كان يُفترض أن يؤدي قُدوم من أُطلق سراحهم «إلى نقل عنصر مُنغص مزعج إلى منطقة العدو»[66]. وما هو جدير بالذكر في هذا السياق أن مدير المقر الرئيس لمنظمة (وحدات الدفاع) غُتلُب برغر، اقترح على الضابط (Reichsführer) في صيف عام (1944 م)، أن يخطب وُدَّ متطوعين من أسرى الحرب المنتمين إلى شمالي إفريقية، ومن أجل مكافحة العصابات واللصوص،

في فرنسة، ما دام هؤلاء الملوَّنون جنودًا في المقام الأول، ويريدون أن يُستخدموا بهذه الصفة. وكانت تعبئة هذه القوات في حركة المقاومة الفرنسية ذات أهمية قصوى، وكانت خليقة بأن تكون ذات فعالية أكبر من تعبئة العسكر الذين لن يتوجَّهوا إلا على مضض ضد مُواطني بلدهم»[67].

وكان من الأمور التي يمكن الاستفادة منها على الصعيد الدعائي، أيضـًا، الإمكانات الممنوحة لأسرى الحرب من العرب المسلمين لممارسة دينهم في المعسكر[68]. فبموجب (اتفاقية جنيف)[69]، وعلى أساس توجيه القيادة العليا للقوات المسلحة، المؤرخ في (1941/05/12 م)[70]، كان من الممكن، في كثير من معسكرات الجبهة المتخصصة، إقامة صلاة الجمعة، والاحتفال بالأعياد الإسلامية الكبرى. وقد حدث هذا على نحو يمكن إثباته في المعسكرات ذوات الأرقام: (132، 153، 161، 181، 184، 190، 195، 222، 230، 232)، وعلى نحو جزئي في قيادات عملهم. أما في معسكرات الجبهة المتخصصة ذوات الأرقام (132) لفال، (181) سامور، (184) أنغوليم، (230) بواتييه، فكانت توجد مساجد[71]. ومن الجائز أن يكون المسجد الوحيد المُقام في معسكر فرعي في غرُسبرِن تابع للمعسكر المتخصص (Stalag III D)[72]. وكانت العبادات والطقوس التي كان يترتب، بالمناسبة، أن يشارك فيها ضباط دفاع ألمان مع تراجمة، يديرها أئمة، وبالتالي، شيوخ (Marabut) تابعين لأسرى الحرب من نُزلاء المعسكر. أما اقتراح إمام مسجد باريس، قدور بن غبريت، إرسال رحال دين مدنيين من الشمال الإفريقي للإشراف على الأسرى العرب المسلمين في الرايخ، ومنهم أولئك الموجودون في المعسكر التخصصي لُكنفلده، فقد رفضته القيادة العليا للقوات المسلحة لأسباب متعددة، منها الهواجس الأمنية الكبيرة[73].

وكان يفترض، في صدد رعاية أسرى الحرب من العرب المسلمين، أن تؤخذ في الحُسبان، أيضـًا، من حيث المبدأ، التعاليم الدينية، ومن ذلك أن

مدير المبيت لدى قيادة شمال غربي فرنسة، أصدر تعليماته، في (1943/09/18 م)، بتقديم لحم البقر، أو الضأن بدلاً من لحم الخنزير، وعدم تقديم المقدار المعين من الدسم في صورة شحم أو دُهن خنزير، بل يستعاض عن هذين بدهن الضأن أو البقر، أو السمن النباتي. أما الجريش (أو البرغل) اللازم لتحضير الكسكسي (أو المغربية) (وهي الطبخة القومية عند المسلمين[؟!]) فيجب أن تكون حباته خشنة قدر الإمكان. ويجب توزيعه في إطار «المقدار المحدد للمواد النشوية والمتلائم مع وحدة الطاقة الثانية المقدَّرة بالمتر/ كيلو غرام» مع جعله مرتبطـــاً بسائر الظروف الخارجية الأخرى[74].

ولم يكن دفن الموتى من أسرى الحرب العرب المسلمين وفقـــاً للتعاليم الإسلامية، بالطبع. وعلى كل حال فهناك خط توجيهي «لدفن الموتى من أسرى الحرب الفرنسيين» صادر عن القيادة العليا للقوات المسلحة في (01/30/ 1942 م)، قرَّر أنَّ من الواجب دفن الموتى الذين يتبعون ديانة غير مسيحية، على نحو دنيوي لائق»[75]. وما من شك في أنه تم إقرار وجوب تزويد القبر برمز يتماشى مع الطقوس الدينية، وهو «الطربوش» في حالة المسلمين[76]. وكان من الواجب تدوين الكتابة بالنقش على الحجر، على شاهدتي القبر بالألمانية[78]. وكان المسلمون بين أسرى الحرب العرب يُدفنون، مثل أتباع الديانات الأخرى، وبالتالي، المذاهب الأخرى، في العادة، في مقابر منفصلة.

وكانت الأشكال التي تعبر عن الحياة الدينية عند أسرى الحرب من العرب، تدخل ضمن موضوعات الدعاية الحربية الألمانية. وتثبت هذا رسائل القراء، مثل رسالة الجزائري محمد الحسن الورتيلاني، عن عيد الفطر في المعسكر[79]. أو الرواية المتعلقة بدفن الضحايا من المسلمين لقصف الحلفاء (معسكر عقاب) في الجبهة[80]. وكانت تظهر في صحف تنتشر في المعسكرات كما تنتشر بين السكان المدنيين في شمالي إفريقية والشرق الأدنى، وكان يدخل في الفئة الأولى جريدة الأسرى العربية التي كان يجري تحريرها

منذ (1941/05/15 م)، ويجري توزيعها على وجه الخصوص في معسكرات الجبهة، وهي ‹لسان العصر›[81] والجريدة العربية التي كانت تصدر منذ عام (1940 م) في معسكر لُكنفلده (III A Luckenwalde)، وهي «الهلال›[82]، وصحيفة ‹تريه دنيُون [إشارة الوصل]/ Trait d'Union› المعدة لأسرى الحرب الناطقين بالفرنسية. وكان يدخل في الفئة الأخيرة على وجه الخصوص، المجلة التي تصدر بالعربية، وهي ‹بريد الشرق›[83]، والتي كانت تُقدَّم إلى معسكرات الجبهة[84].

ومع أن أمثال هذه التقديرات والاعتبارات، وغيرها، المرتبطة بالتكتيك الحربي والدعاية الحربية لا يمكن أن يرد الحديث عن معاملة "تفضيلية" لأسرى الحرب من العرب (المسلمين)، كتلك المعاملة التي حدثت، مثلاً، في الحرب العالمية الأولى[85]، وباتت يُطالب بها الآن، من حين إلى آخر[86]. وكان الأسرى يشكون، ولاسيما في سنوات الحرب الأولى، مثلما كان يفعل المفتشون الفرنسيون التابعون لبعثة سكابيني، من الإيواء «الكارثي في كثير من الأحيان»، في معسكرات الجبهة والمعسكرات العادية، التي كانت لايكاد يتوافر فيها تحضير للتغطية[87]. كانت الكسوة الرديئة والرعاية غير الكافية[88] تسهمان في ارتفاع نسبة الوفيات على وجه الخصوص في معسكرات شمالي فرنسة، وفي الرايخ وكان الأسرى يموتون على وجه الخصوص، بداء السل، كما كان آخرون يموتون من أمراض الرئتين والزحار[89].

وكانت تسود ظروف سيئة على وجه الخصوص في قيادات العمل، الجمَّة العدد في معسكرات الجبهة. ففي عام (1943 م) ساند هناك نحو عشرة آلاف أسير حرب عربي المجهودات الحربية الألمانية، على وجه الخصوص، في إنشاء التحصينات، كما ساند نحو (1400) في صناعة التسليح[90]، وتمَّ توجيه أكثر من خمسة آلاف للعمل في الزراعة والحراج، ولاسيما في جنوبي فرنسة. وكان الأجر الضئيل، الذي يبلغ في العادة (10) فرنكات، أو (0,70) مارك

إمبراطوري (Reichsmark, RM)، مقابل يوم عمل مدته ثماني ساعات، وحتى اثنتي عشرة ساعة، يترل بهم على أية حال إلى الدَّرك الذين يكابدون عنده الجهد والمشقة في تأمين مواد غذائية وتبغ[91].

ولم يتحقق تحسين أحوال المعيشة السيئة في المعسكرات إلا عن طريق ما سبق ذكره من إجلاء «الأسرى الملوَّنين» لنقلهم إلى معسكرات جبهة ذات موقع أكثر ملاءمة من الوجهة المناخية، وكذلك عن طريق إمكانية أن تتاح لهم فرصة تلقي رُزم الهدايا الودِّية من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومن منظمات العون الأخرى. وكان ممن أسهم في هذا إلى درجة معينة (دائرة الخدمات الدبلوماسية لأسرى الحرب) التي أنشأها حكومة فيشي» بإدارة جورج سكابيني. وهذه المؤسسة التي يطلق عليها، باختصار، اسم (بعثة سكابيني)، ومقرُّها في باريس، كانت تنهض بمهمة الإشراف على أسرى الحرب الفرنسيين في معسكرات الاعتقال في دول المحور. وبعد الزيارات التفقدية، وعمليات الاستفسار عن مواقف الأسرى، لفت ضباط مدنيون وعسكريون أُرسلوا من قِبلها أنظار الجهات المعنية في الرايخ، في بعض الأحيان إلى النواقص، وتمكنوا في بعض الحالات من التوصُّل إلى تحسينات.

أما حالات الاعتداء العنصري، بل المذابح، كما تمَّ تصويرها في الأدبيات[92]، ضد أسرى الحرب من العرب السود، فلم تُعرف حتى الآن، ضد العرب. وهذا لا يعني، بحال من الأحوال أن هؤلاء لم يضطروا إلى أن يغالوا أيضاً من المعاملة المنطوية على ألوان من العَنَت وإلحاق الأذى، والتي تجرد الإنسان من كرامته، في المعسكرات، ومن ذلك أنَّ أسير الحرب البولوني، ميكولاج كابان، الذي دخل المعسكر الخاص (Stalag XVII A)، يتذكر «كان من النادر أن يحدُث ضربُ بولوني أو فرنسي، وفي مقابل ذلك كان المغاربة يلقون معاملة أسوأ، وكان اليهود يلقون أسوأ المعاملات قاطبة»[93]. وفي معسكر كايزرشتينبرُخ، أجريت، في تموز، وفي تشرين الثاني عام (1940 م)،

فيما أجري من تجارب على أسرى الحرب من الشمال الإفريقي، أبحاث «فيزيولوجية، عنصرية» و«أنثربولوجية» تمت فيها عمليات سحب دم، وإجراء قياسات على الرأس، واصطناع أقنعة للوجه من الجص[94].

والحق أن عزل وتركيز أسرى الحرب من العرب، والآخرين من الملوَّنين، المحرَّمين بموجب اتفاقية جنيف، أتاحا وسهّلا، على السواء، استعمال الألمان الصحائف الطباعية المسبوكة النمطية في المعاملة الإدارية والعملية لنزلاء المعسكر. ففي منشور يُظن أنه تم توجيهه بُعيد بداية الحرب إلى السكان الألمان، حول التعامل مع أسرى الحرب البولونيين والأوروبيين الغربيين و«الملوَّنين»، ورد في هذا الصدد قولهم: «ولكن تُضاف إلى ذلك الآن لحظة جديدة: الفرنسيون الملوَّنون!. وإذا لم يكن هؤلاء، بصورة مؤقتة، معبَّئين للعمل، فإن احتكاكهم، مع مرور الزمن، بالسكان المدنيين ممكن، وفي حالة التعبئة النهائية، اللاحقة يكون ذلك من المستيقن. ولا يكاد يظهر الملوَّنون في صورة ناقلين للأخبار بسبب افتقارهم إلى الذكاء، ولكن غرائزهم البهيمية المعروفة لا يجوز أن تنتهي إلى الانطلاق بأي صورة كانت. وسوف ترفض الغريزة السليمة التي ينطوي عليها الشعب الألماني كل تعامل مع ناقلي النظافة الملوَّنين، وينأى بهم عن نفسه، غير أن الاستثناءات تؤكد القاعدة في كثير من الأحيان!. فمَن يسترسل في التعامل مع الملوَّنين بأي كيفية كانت من دون أن يكون ملزمـــاً بالإشراف عليهم بحكم عمله الرسمي، يُستدعى للمساءلة بموجب (قانون حماية الطاقة الدفاعية للشعب الألماني)، هذا فضلاً على الاستدعاء للمساءلة بموجب القوانين العنصرية، ويترتب على ذلك، لا محالة، ومن دون حق الاستئناف، السجن، بل عقوبة الإعدام، في بعض الظروف، لكلا الطرفين»[95]. وفي كانون الأول عام (1942 م) صاغ آمر معسكر الجبهة بِرُن، فون شيربرندت، في (مذكرة لحراسة أسرى الحرب من الملوَّنين الفرنسيين)، يقول فيها: «إن أسير الحرب الفرنسي الملوَّن رجل من شمالي

إفريقية . . محمديٌّ، ويجب احترام تقاليده الدينية، ولا يجوز منعه من ممارستها، ولاسيما في أيام رمضان. وهو لا يُعد عاملاً جيدً، فهو كسول، خامل، شرقي حقــاً، غير أنه يغدو راغبــاً في العمل في حالة التوجيه الكافي، ثم إنه ليس بالغبي، بل يظهر في المناسبات الخاصة، مكرًا، ولباقة ومرونة على نحو مفاجئ. ثم إنه ليس بالخطر، ولا بالذي لا يمكن فهمه، كالبلشفي، غير أن من الصعب سبر غوره. إنه لا يفهم سوى السيادة المطلقة، التي تعامله بإنصاف، ولكن باختصار وبحدة»[96]. وما يتلاءم مع هذا الأمر الإداري الصادر عن مدير المبيت والإيواء في القيادة العليا للجيش، والمؤرخ في (1940/6/22 م)، ومؤداه أن «الملوَّنين» يمكن أن يستخدموا خدمــاً للضباط المأسورين[97]. ولا يجوز أن تكون موضوع الشك حقيقة أن أمثال هذه البلاغات العنصرية كانت تحدث آثارها في سلوك طواقم الحرس وفي سلوك السكان تجاه أسرى الحرب العرب، وفي المعسكرات، كما في قيادات العمل، على السواء.

2/ 5) استخدام العمال العرب وإلزامهم بالخدمة في فرنسة وشمالي إفريقية

لم يُتَّخذ العمال العرب، ولاسيما العمال الأجانب والعاملون في السخرة، من شمالي إفريقية، في ألمانيا النازية، في أي مكان، حتى الآن، موضوعــاً للمناقشة. غير أن الأدبيات التي باتت في هذه الأثناء واسعة النطاق للغاية، والتي تتناول تعبئة العمال الأجانب في خدمة الاقتصاد الحربي للرايخ الثالث لا تذكر هذه الفئة من الناس، بل لا تذكرها حتى بصفتها مادة مرغوبة من أجل البحث[98]. وبصورة أساس لهذا لا يمكن أن تفترض، بطريقة منصفة، سوى الصعوبات التي سبق ذكرها، أي: صعوبات التمييز بين العمال الأجانب والعمال الفرنسيين، الذين يجري التعداد بحقهم، هم أيضــاً، في المراجع، من

التزامهم الصمت حيال تلك الصعوبات. أما تجاه التقديرات الأخرى، كالتقديرات الكمية، فقد أمكن استبعادها بالنظر إلى عددها الكبير.

لقد كان استخدام العمال الأجانب العرب، وعمال السخرة، وإلزامهم، يتّمان، من حيث المبدأ، في الإطار الزمني والتنظيمي ذاته، وبالإيقاع ذاته الذي يكون في حال العمال الفرنسيين: فحتى خريف عام (1942 م) يتحدث إيف دوران عن الإلزام الفردي بالعمل للرايخ، أي: العمل الطوعي إلى أبعد الحدود، منذ (عملية التبادل/ Releve) وحتى شباط (1943 م)، أي: عن (الطوعية القائمة على القسر)، والعمل بالسخرة بموجب المفهوم الذي نادت به حكومة فيشي، وهو (خدمة العمل الإلزامي/ STO). وبعد الهدنة مباشرة، كان قد تمّ وقف الهجرة الإجبارية للعمال الزائرين لمساندة مجهودات الدفاع الفرنسية. وحتى عام (1941 م)، أعيد نحو (14000) من المهاجرين الجزائريين من أجل العمل، الذي جاءوا مجيئــاً طوعيــاً بدرجة تقل أو تكثر، إلى وطنهم، ويُظن أن ذلك حدث بسبب الهواجس الألمانية بصدد الأمن. ولكن بعد غزو الألمان الاتحاد السوفييتي، وعلى أبعد تقدير، في مستهل عام (1942 م)، بدأ مجددًا استخدام المهاجرين من أجل العمل من الشمال الإفريقي. وبينما ظل هؤلاء في المغرب وتونس دون مستوى التوقعات»[100]، لقي هذا صدىً وتجاوبــاً بين صفوف الجزائريين على نحو واضح جلي، وكانوا يلتزمون، مقابل أجرة ساعية قدرها سبعة إلى ثمانية فرنكات، بالعمل لصالح المؤسسات الفرنسية في الجزء غير المحتل من فرنسة. ومع ذلك وبعد أن لم يحافظ أرباب المشروعات على اتفاقاتهم بصدد التعاقد على العمل أو حافظوا عليها جزئيــاً فحسب، انقلبت أعداد جمة منهم، كما يكتب جان-جاك راجيه، قائلاً، ولا سيما القبائل، إلى ألمانيا، وهناك عُرِضَت عليهم شروط أكثر ملاءمة، وفيها إجازة مع دفع تكاليف العودة، كل ستة أشهر، أو اثني عشر شهرًا[101]. وفي أيار عام (1942 م)، أرسلته، على سبيل المثال مصانع الكيماويات لوينا

الألمانية، من جهتها هي خصوصـاً، وكيل دعاية ليجند يدًا عاملة بين المهاجرين من شمالي إفريقية، وروى هذا قائلاً: «لقد تحدثت بشخصي إلى بعض الجزائريين الذين خلّفوا لدي انطباعـاً يوحي بتمتعهم بالصحة، والصلابة، وكانت المسألة تتعلق بمسلمين لا يشربون المشروبات الكحولية لأسباب دينية، ويحرصون على الاقتصاد في الإنفاق، وتلقى أولئك الذين استجابوا لدعوتنا مبلغ (1000) فرنك لكل نفر[102].

وبعد إعلان التبادل في حزيران عام (1942 م) أعلن عن قدومهم لدى القنصلية الألمانية في الجزائر بضعة آلاف من الراغبين في التعبئة العمل في الرايخ، فأحيلوا إلى دوائر العمل الإقليمية في ولاية الجزائر، وقسنطينة ووهران، التي سجلت بضعة آلاف من المرشحين، واجتمعوا للنقل. ويقال إن كثيرًا من الراغبين لم يروا ألمانيا بالطبع أبدًا، إذا استخدمتهم (منظمة تودت/ OT)، ولاسيما في فرنسة المحتلة[103].

على أن نزول الحلفاء في شمالي إفريقية وضع نهاية لتجنيد القوى العاملة في الجزائر والمغرب منذ تشرين الثاني عام (1942 م)، كما فعل ذلك في وقت لاحق أيضـاً، في تونس. ومن أجل لم يستطع الالتزام القسري الذي بدأ بُعيد ذلك، في سياق (خدمة العمل الإلزامي) من قبل اليد العاملة الأجنبية أن يصل بعدُ إلا إلى المهاجرين من الشمال الإفريقي من أجل العمل، الذين يعيشون في فرنسة.

أما عدد العمال العرب، الأجانب والعاملين في السخرة، الذين ثبت وجودهم في كل أرجاء الرايخ وفي المناطق المحتلة تقريبـاً فتحديده أصعب بما لا يقبل المقارنة من تحديد أسرى الحرب والمعتقلين، ويكاد يبدو مستحيلاً. وإذا صرفنا النظر ذات مرة عن إشكالية التعرُّف والتمييز، فإن ما يزيد في صعوبة البحث عنهم، على وجه الخصوص، العدد الضخم، وعدم إمكانية الإحاطة، بنظرة شاملة، بأماكن تشغيلهم، وكذلك ضياع الأوراق الثبوتية

ذات الصلة بالموضوع والتي تعود على الأشخاص. أما بنوك المعطيات التي كان من الممكن أن تُسهِّل تمييزهم وتحديد أعدادهم فلا وجود لها حتى الآن. وأما عمليات الجرد الخصوصية التي تستطيع أن تساند البحث عنهم في المحفوظات، فلا تتوافر إلا متفرقة، فرادى[104]. أما المعطيات الرقمية الضئيلة، وغير الكافية البتة، في المراجع، فلا ترجع، في العادة، إلى عمليات بحث وتمحيص قائمين على الأسلوب التجريبي عند الباحث ذاته، بل تعود، في كثير من الأحيان، من دون نقد، إلى معطيات متناقضة فيما بينها، مأخوذة من إحصائيات قديمة، كما أنها تكاد تقتصر، في حالتنا، على الجزائريين حصرًا.

ويفترض أن يكون جاء، على مر طور الاستخدام الأول بعد الهدنة، أقل من ألفي مغربي، وما بين (550 و8000) جزائري إلى فرنسة الخاضعة لحكومة فيشي، «الموصلة منهم، في إقليم مرسيليا وحدها نحو (400) ذهبوا إلى ألمانيا»[105]. وبعد التبادل يجوز أن يكون غادر نحو (14000) جزائري آخر موطنهم ليعملوا لصالح ألمانيا[106]. وقد كان كثير منهم، ولاسيما بعد إدخال منظمة تودْت (خدمة العمل الإلزامي)، يُطلب بإلحاح شديد. ففي عام (1944 م) يقال إن (19000) فحسب عملوا لصالح هذه المنظمة، وهو الأمر الذي يبدو مبالغاً فيه بالطبع[107].

أما أفارقة الشمال فكان من الممكن استخدامهم، مثل الأجانب الآخرين، من قبل المؤسسات الفرنسية والألمانية، الفرعية، وكذلك مباشرة من قبل مكاتب الاستخدام العائدة لمنظمة تودْت، أو إلزامهم بالخدمة من قبل مكاتب العمل المحلية، لصالح هذه المؤسسات[108]. وكانوا يستخدمون على وجه الخصوص ضمن (مجموعات التدخل الغربية)، هنا على وجه الخصوص، في حالة (قيادة البناء العليا/ OBL)، في شربورغ وسين[109]، وفي جزر بحر المانش[110]، وفي (مجموعة التدخل بسكايا)[111]، كما استُخدم بعضهم أيضـــاً ضمن مجموعة التدخل في ألمانيا. أما في الغرب فقد أسهموا قبل كل شيء في

بناء تحصينات الأطلسي ومنشآت التحصين العسكري الأخرى، وفي استكمال إنشاء المطارات وتحضيرها، وفي إنشاء مخابئ الغواصات.

وفي مضمار التراتُب الهرمي للعاملين في منظمة تودْت كان من الجائز أن يدخل أهل شمالي إفريقية إما في عِداد «العاملين في الجبهة» و«المنتمين إلى عرق غير جرماني»، وإما في باب «العاملين في التعبئة»، وأن يكون بذلك ارتدوا الحلة الرسمية[112]. وكانت الظروف الاجتماعية، في مستهل الأربعينيات لدى منظمة تودْت ماتزال جذابة نسبيًّا: وكانت تُدفع للأجانب «أجور مغرية» ومكافآت وعلاوات خصوصية[113]. وكان هذا، ومعه المساكن النظيفة، والرعاية الكافية والإشراف الصحي الجيد هو الذي ربما حمَل كثير من المهاجرين العرب على العمل، في فرنسة، على أن يَدعوا منظمة تودْت تطلبهم، على الرغم من النظام شبه العسكري السائد هناك.

و لم يتغير هذا إلا مع التسوية الجديدة لنظام الأجور لعمال منظمة تودْت الأجانب العاملين في المناطق المحتلة، في شباط من عام (1943 م)، على أبعد تقدير. فقد بات يتَّضح الآن التمييز (العنصري) والسياسي في مجال تقدير الإنجازات الاجتماعية، حيث كان عمال منظمة تودْت الأجانب يتلقّون أجورًا أقلّ بصورة جوهرية مما كان يحصل عليه العمال الألمان، مع التماثل في شروط العمل، (بين 0,65 و0,96 مارك إمبراطوري). وكان العمال الفرنسيون، غير الجرمان، الذين كان يدخل في عِدادهم، في العادة، أهل الشمال الإفريقي، يحصلون على أجور أقل (بين 0,38 و0,50 مارك إمبراطوري) مما كان يحصل عليه، مثلاً، العمال الفلاميين (الجرمان)[114]. وحتى العلاوات والتعويضات المرتبطة بالقروض الجانبية من أجل البناء لعمال منظمة تودْت الأجانب، تمَّ تنظيمها تنظيمـًا جديدًا بما يتلاءم مع هذا: فقد كان الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون يحصلون على (28% و36%) من القرض الأساس، أما «الإسبان الحمر والمغاربة»، فلم يكونوا يحصلون، في

مقابل ذلك، إلا على (23%) منه[115]. وكانت فروض مشابهة لهذه تنشأ عند منح الإجازات: فعلى حين كان عمال منظمة تودْت الألمان يحصلون على إجازة سنوية قدرها (18) يومــاً، وإجازة خصوصية تصل إلى سبعة أيام، كان العمال الأجانب لا يُعترف لهم، بعد ثلاثة أشهر، إلا بيوم واحد، عن كل شهر يتم تشغيلهم فيه، ومع ذلك «لم يكن من الضروري أن يُمنح هذا اليوم إلا عندما تسمح بذلك متطلبات العمل». وأخيرًا كان الأجانب يضطرون، خلافــاً للألمان، إلى دفع إيجار عن الإيواء[116].

وفي مقابل ذلك كان في وسع المسلمين الموجودين بين العاملين في منظمة تودْت من الشمال الإفريقي أن يحسبوا حسابهم على أساس انهم يحصلون على إجازة في أيام الأعياد الإسلامية، وعلى مواد غذائية إضافية. ومن ذلك أن (قيادة البناء العليا) في شِربورغ أوعز إلى الوحدات التابعة له بإعطاء العمال من شمالي إفريقية، بمناسبة عيد الفطر، إجازة يوم مدفوع الأجر في الأول من تشرين الأول، وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة في الاحتفال المركزي في كِركفي[117]. أما منظمة (الخدمة الاجتماعية في مواقع الأعمال/ SSCT)[118] فقد كان يُعطى من قِبلها مقابل ذلك «لحم ضأن، وسميد»[119].

ولم تكن ظروف العمل والمعيشة عند العاملين الأجانب والعاملين بالسخرة، من العرب، تختلف اختلافــاً جوهريــاً عن مثيلاتها لدى عمال منظمة تودْت. والأمثلة التالية ترجع إلى أبحاث أُجريت، على وجه الخصوص في أقاليم برلين-برندنبورغ، وسكسونيا، وسكسونيا-أنهالت وثورنجيا، وحدث هذا بسبب توافر عمليات جرد خصوصية، وبنوك للمعلومات، تحت التصرف، مثلما حدث هذا أيضــاً بسبب وجود مراكز اقتصادية هامة للدولة هناك. على أن المعطيات التي تمّ الخروج بها لا تعدُّ ذات تمثيل صحيح إلا بشروط، لأنها كانت بعيدة عن أن تكون مفصَّلة مستوفية لكل عناصرها.

وكان بين العمال الذين شملهم التحقيق، بأسمائهم البالغة (150) عاملاً من العمال الأجانب وعمال السخرة، من العرب (67) جزائريــاً، و(22) مغربيــاً، وتونسيان، ومصريان، وعراقي، منهم (61) يعملون في الأقاليم المذكورة، و(45) آخرون، في شركة الصناعات الكيماوية فاربن في آوشفتس. وكان من الباقين من يعمل في مصانع الدولة التي تحمل اسم هِرمن غورنغ في غبهاردزهاغن، وهلندرف، وفاتنشتدت، وكان منهم من يعمل في شركة الأسلحة دورنييه، في فريدركسهافن.

وفيما يخص الطور الأول من تعبئة العمل بين عام (1940 م) وصيف (1942 م)، في برلين برندنبورغ وسكسونيا، وثورنجيا، وجود ما لا يقل عن (20) عامل جزائري، ومغربي وتونسي، وقد خُصص معظمهم للعمل لدى شركة توريد الأسلحة التي تُدعى (لايتسغر متالغُس المحدودة). وكانت لهم، في العادة اتفاقيات على مدى نصف عام أو عام كامل. ورواوحت أجورهم الساعية بين (0,40 و0,70) مارك إمبراطوري. وهكذا كان العامل في صهر المعادن محمد أحمد بن مبارك، وهو أب لأربعة أطفال، يكسب (0,70) من مارك إمبراطوري، ويحصل في كل شهر، على (700) مارك إمبراطوري، مقابل ابتعاده عن أسرته. وكان السبَّاك العَزَب، علي شقرون، يحصل على (0,64) مارك إمبراطوري، ومعها (600) مارك إمبراطوري، علاوة مقابل الابتعاد عن منطقته. وكان يتم إيواء كل العمال في مساكن خاصة بالمؤسسة أو في معسكرات عائدة لجبهة العمل الألماني (DAF)[120].

ولم يُعرف من الطور الثاني، بين صيف عام (1942 م) وربيع عام (1943 م)، سوى اثني عشر جزائريــاً ومغربيــاً، إذ كان معظم هؤلاء يعملون في محيط برلين-برندنبورغ، وفي أماكن أخرى، منها (الشركة العامة للكهرباء/ AEG) في برلين وهنغزدُرف، ومصانع سيمتز-شُكَرْت في مصانع (برلين سيمتز-شتدت)، وفي مصانع دايملر-بنز [أي: مرسيدس. ز م] في غنزهاغن، ورواوحت مدة اتفاقياتهم بين عام[121]، وعامين وتصف العام.

وقد تمّ تجنيد معظم العمال العرب الذين تم الكشف عن أحوالهم، أي: (34) عاملاً على الأقل، بعد إدخال (خدمة العمل الإلزامي)[122]، وكان منهم (16) في برلين-برندنبورغ وحدها، وثمانية في سكسونيا، وستة في ثورنجيا.، وعلى قدر ما هو معروف، ما عادت عقود العمل تنتهي بأقل من عام. وكانت الأجور المدفوعة الآن شديدة التفاوت تبعـاً للإقليم والمؤسسة، وكانت تشير، على وجه العموم إلى جنوح إلى الهبوط. فبينما كان خرّاط ما في القوات المسلحة يكسب، في آب عام (1943 م)، في (مصانع كتبوس للآلات)، بَعدُ (0,70) مارك إمبراطوري[123]، كانت (شركة المصانع السكسونية المساهمة/ ASW) في إسبنهاين تدفع للعامل العَرَب في مصنع فحم الكوك، محمد ريميشي، في حزيران من السنة ذاتها، (0,68) مارك إمبراطوري[124]. وبلغ الأجر السنوي لعامل الآلات حسين ك، في الشركة العامة للكهرباء (AEG)، في هنغزدُرف (2564,01)[125] مارك إمبراطوري، وكان المصري رالف س، في مصنع المنسوجات في غوبن، في كانون الأول، لا يحصل بعد إلا على (79,56) مارك إمبراطوري[126]. وكان يضاف إلى ذلك، في معظم الحالات، أشكال من الخفض أو الحسم من أجل أمور متعددة، منها الإيواء في مخيمات من البراكات. ومنذ صيف عان (1942 م)، كانت هناك نُذر واضحة تشير إلى أن وضع العمال الجزائريين والمغاربة في شركة الصناعات الكيماوية فاربن في آوشفتس الذين يجري تشغيلهم عن طريق المؤسسة الفرعية الفرنسية، سوترابيه[127]، ستيدهور بسرعة، وسرعان ما يضاهي ذلك الوضع الذي يتّسم به المعتقلون في معسكرات الاعتقال، الذين يُحتجزون هناك[128].

على أن ظروف العمل المعيشة التي تزداد سوءاً، وتنامي نسبة الوفيات نتيجة للأمراض، ولاسيما السل، والحوادث وكذلك عمليات قصف الحلفاء بالقنابل المنشآت والمصانع التي يعملون فيها، والمخيمات التي يسكون فيها[129]

أدت أيضـــًا إلى تنامي الاستياء بين صفوف العمال، وهبوط مستوى الانضباط عندهم.

وكانت المؤسسات والمنظمات ذات النزوع إلى التعاون، مثل منظمة (الخدمة الاجتماعية في مواقع الأعمال) و(مهمة برونتن)[130]، و(الجبهة الاجتماعية للعمل) والفرع الناشئ عنها وهو (اتحاد عمال شمالي إفريقية)[131] من أجل العمال الآخرين، العرب والأجانب والعاملين بالسخرة، تحاول، مثلما فعلت منظمة (جبهة العمل الألماني/ DAF) والجهات الأخرى الألمانية المكلّفة بالإشراف، على العمال الأجانب، أن تقف في وجه هذا التطوُّر. وكانت الدعاية النازية تساند جهدها، ومثال ذلك ما حدث في كانون الثاني (1943 م)، باستطلاع إذاعيّ تناول العمال العرب المرتبطين بمنظمة تودْت في محيط مدينة بوردو، ونجم عنه شعور هذه «بشيء من الحرج» أوَّل الأمر في الحقيقة، غير أنها سرعان ما قدرت أنها «سعيدة، لتمكنها من العمل من أجل ألمانيا»[132]. وما حدث عن طريق تحرير الصحيفة الأسبوعية التي تصدر بالعربية والألمانية، وهي صحيفة ‹الغرب العربي› في شباط عام (1945 م)، وكان يفترض في هذه الصحيفة أن تكون «حلقة وصل بين أبناء شمالي إفريقية الموجودين في ألمانيا، والعاملين في الرايخ، من خليج سرت الكبرى، وحتى المحيط الأطلسي، حلقة وصل بينهم وبين وطنهم، وبينهم وبين ألمانيا»، ومع ذلك فلم تشهد سوى إصدار عددين منها[133].

ولا يُعرف أكان للدعاية أثر في أخلاقية العمل لدى العمال الأجانب والعمال بالسخرة من العرب، كما لا تعرفُ ماهية هذا النفوذ. ومن الجائز أن تكون الأمثلة التالية على الاستعداد للعمل من أجل الرايخ، بدوافع سياسية وإيديولوجية، فقط استثناءات، أو حالات شاذة: فمنذ كانون الثاني (1937 م)، كان عراقي يدرس في بون، يدعى عبد الكريم كنونة، قد عمل جاهدًا، مع الاستعانة بسفارة بلاده، من أجل التمكن من دخول (مكتب العمل في الرايخ/ RAD)، وهو الأمر الذي تركته وزارة الداخلية آخر الأمر

لتقديره هو[134]. ولا يُعرف هل حدث ذلك بالفعل؟، وما النتيجة التي انتهى إليها بعد ذلك؟. وعلى كل حال ففي سنة بداية الحرب كان موجودًا في سويسرا على أي حال[135]. وفي حزيران من عام (1942 م) توجَّه المغربي العربي بن إبراهيم بن حسين برسالة إلى أدولف هتلر والتمس منه أن يتاح له «أن يكون عاملاً بكل طاقاته من أجل ألمانيا». وبعد شهرين، وبعد أن طلب استخدامه في باريس بصفة عامل أجنبي، جدد الالتماس ذاته، من مدينة العمل (غروس هلّه)، في برلين-شبنداو. وتفيد حاشية على ملفّه في وزارة الخارجية مؤرخة في كانون الثاني (1943 م)، «أنه لم يتلق جوابـــًا أبدًا، إذ تقول إن العربي أقرب إلى أن يُحدث انطباعـــًا بعيدًا كل البعد عن أن يكون مواتيـــًا له. فهو، منذ سبعة أشهر بلا عمل، وليس في جيبه نقود»، «وعسى أن تعمل الإدارة المركزية لأمنِ الرايخ على أن تنظر الشرطة في أمره عن كثب»[136]. وقد توفي في (1943/06/12 م) بالتهاب في الصدر، ودُفن في منطقة برلين-هيلغنتريه ببرلين[137]. وفي تشرين الأول عام (1943 م) توجَّه أخيرًا الجزائري مارشال س، ذو النزعة الحربية، الآنف الذكر، والذي كان التزم بالعمل سنة، وكان يعمل في (مصانع كتبوس للآلات)، إلى سلطة الشرطة المحلية، برجاء إتاحة الفرصة له ليكون ذا عون في مجال «إجراء الاتصالات مع جبهة العمل الألمانية الموجودة هنا، وكذلك مع الجبهة المختصة في الشرطة السرية 'الغستابو'» قائلاً: إنه عضو في الحزب الشعبي الفرنسي (PPF) الذي يتطلّع إلى إقامة علاقة وثيقة مع ألمانيا، ويرى في البلشفية، وفي طموح الدول الأنغلوسكسونية إلى السيطرة على العالم، عدُوَّي قارتنا، وإنه مكلّف بتخصيص جهوده «من أجل الحركة في ألمانيا، مع أبناء بلده»[138]. ولا يتبين من الملفات ما أسفر عنه هذا.

ومن الجائز أن تكون الأغلبية الساحقة من العمال الأجانب والعاملين بالسخرة من العرب، ما داموا قد أبلغوا عن أنفسهم، بمحض إرادتهم، قد رأوا في تعبئة أنفسهم للعمل من أجل الرايخ، أول الأمر، مصدرًا للدخل

كانوا في حاجة ماسة إليه. وكانوا، في العادة، يحسّون أنه ينطوي على جور واستغلال، ولاسيما بعد إدخال (مصلحة العمل الإلزامي)، وتدهور ظروف المعيشة، وهذا ما تشهد عليه الانتهاكات المتعددة الجوانب للتعليمات الخاصة بالعمل، حتى في منظمة تودْت، والنزوع إلى التخلف عن العمل، على نحو مطرد الزيادة، وكثرة محاولات الهرب، وسجلات المطلوبين للشرطة، ولاسيما سجلات المطلوبين في المناطق الغربية المحتلة، التي تفيد أن «الهرب»، و«الإفلات» أو «الزوغان»، و«الابتعاد بغير إذن»، أمور بات من أكثر الجرائم تواترًا، مع فارق كبير بينها، وما عداها، عند الملاحَقين في السنتين الأخيرتين، من سنوات الحرب[139]. وقد هجر ثمانية على الأقل، من العمال الأجانب، وعمال السخرة، من العرب، الذين تعرَّفت على أسمائهم، أماكن عملهم هجرًا يمكن إقامة الدليل عليه. وكان منهم ستة منذ عام (1943 م): فمنهمْ عمور ب، من شركة المصانع السكسونية المساهمة إسبنهايم[140]، وحامي بن هـــ، من مصانع شرطة الصناعات الكيماوية فاربن في برمنتس[141]، وكذلك: جورج بن أ، وثلاثة من الجزائريين، كانت مراكز الغستابو تبحث عنهم في مدينة فايمار[142]، وفي نوردهاوزن[143]، وفي آب، وبالتالي في كانون الثاني من عام (1945 م).

2/ 6) الملاحقة البوليسية والقانونية للعرب، في الرايخ وفي أوربة المحتلة

ولعل من الأعراض المميزة لهذا التطوُّر، على المستوى الرفيع، رسالة عاجلة لهِملر تعود إلى نهاية عام (1942 م) إلى مراكز الخدمة في (شرطة الأمن/ Sipo) ودوائر (استخبارات التجسس المعاكس/ SD)، وإلى أصحاب المناصب الرفيعة في منظمة (وحدات الدفاع) وقادة الشرطة، وإلى آمري شرطة النظام ومفتشيها وإلى الشرطة المحلية، بصدد (التحريات الخاصة

بالحرب)، (عملية التحري عن أسرى الحرب الهاربين، واليد العاملة الأجنبية) و«تشديد الحراسة المفروضة على الأشخاص». وورد في الرسالة قوله إن «أعداد العمال الأجانب الذين انتهكوا بنود العقود، والذين يتسكعون هنا وهناك، أو يتطلعون إلى العودة إلى وطنهم، وأعداد أسرى الحرب الذين أفلتوا من القبضة» . . التي «ارتفعت ارتفاعـــاً كبيرًا» في الآونة الأخيرة، والتي يتنامى، نتيجة لها، أيضـــاً، عدد التصرفات السياسية والإجرامية، «التي يمارسها هؤلاء الهاربون، حيث بات من الواجب أن يُحسب حساب آخر، لتعريضهم الأمن العام للخطر». ووقعت على عاتق الشرطة الجنائية عملية البحث والتحري، وإحالة الملاحظات الهامة من أجل البحث عن الخصوم ومكافحتهم، إلى الغستابو[144].

على أن العِّينة العشوائية، مع الفيض الذي لا يمكن أن يغيب عن النظر، من المراجع، ومنها ما يوجد في (السجل الألماني للملاحقة)، وفي (صحيفة الشرطة الجنائية الألمانية)، وكذلك في ملفات محفوظات المعتقلات والسجون، تؤكد أن الملاحقة البوليسية والقانونية، حتى للعرب في الرايخ، وفي المناطق المحتلة، ازدادت ازديادًا واضحـــاً في المناطق المحتلة منذ عام (1943 م)، على أبعد تقدير. وكان أولئك الذين مَسَّهم الملاحقة على وجه الخصوص هم العمال الأجانب وعمال السخرة، وكذلك أسرى الحرب.

وكان القسم الأكبر إلى حد بعيد، من الحالات الفردية التي أشرتُ إليها، وعددها ثمانون، يمثل أشكالاً شتى من الجنح المرتكبة بحق الملكية، بأيدي عمال أجانب وعمال سخرة جزائريين على الأغلب. وكانت تسود بينهم «السرقة» و«التهريب» اللذين كانت توجد بينهما حوادث غير ذات شأن كانت تُرتكب في كثير من الأحيان بدافع الجوع والفاقة، كما كانت تستكن بينهما، بين الحين والآخر، جرائم عصابات[145]. وكانت تليهما في المرتبة «عمليات إخفاء المسروقات أو التستر على المجرمين» و«الاختلاس». وكان يقصد بذلك، في كثير من الأحيان، اصطناع البطاقات التموينية والاتجار بها.

وقد حكمت المحكمة الاستثنائية الخامسة، لدى محكمة الدرجة الثانية في برلين، على المغربي عبد الله بن أحمد، في آب عام (1943 م)، مقابل ذلك، بالسجن عامين، وزُج به في السجن في براندنبورغ، حيث خرج في (03/28/ 1944 م) ميتاً بالسل[146]. وفي بعض الحالات كانت أمثال هذه الجنح، أو الجرائم يعاقب عليها بحكم كونها جريمة تمسُّ اقتصاد الحرب، ويتم الاقتصاص لها بأقصى العقوبات. وبينما عاقبت المحكمة الاستثنائية في مدينة براونشفايغ، في أيلول عام (1942 م) الجزائري العربي ج، على ذلك بأربعة أشهر من السجن، على أنها عقوبة خفيفة نسبيـــاً[147]. فرضت المحكمة الاستثنائية الرابعة في برلين على مواطنه، سالم عماموش، في نيسان (1945 م)، حكمـــاً إرهابيـــاً: إذ حكمت عليه، بسبب تدبير بطاقات تموينية مزورة وتسويقها، بالقتل، ونفذ الحكم في (1945/04/18 م) في سجن برلين-بلتستريه[148]. أما الجزائري محمد راشي فقد أقيمت ضده دعوة في أيار (1943 م)، بصفته «مُفسدًا للشعب»[149]، وسُلِم إلى معتقل برغن-بلزن، حيث توفي في السابع من آذار عام (1945 م).

وكان الانحراف الذي يلي ذلك في تواتره، لدى العمال الأجانب وعمال السخرة، الذين كانوا يُلاحقون، يتمثل في أنواع متباينة من «انتهاك بنود عقد العمل». وكان يدخل في هذا الباب «التكاسل عن العمل والتقاعس فيه» و«تكدير صفو سلام العمل» و«مغادرة مكان العمل» وأخيرًا «رفض العمل». وكان سُلم العقوبات المفروضة على هذه الأنواع يراوح بين عمليات الخَصم من الأجور والاعتقال، ليصل إلى إحالة المذنب إلى (معسكر إعادة التربية/ AEL)[151]، وإلى معسكر اعتقال. وبينما خرج الجزائري محمد ر، في شركة المصانع السكسونية المساهمة إسبنهايم، في أيار (1944 م)، من نوبة تسكُّع بخسارة من أجر عمله وصلت إلى نصف أجر يوم عمل، مع الحرمان من البطاقة الإضافية (Zusatzkarte) مدة أسبوع[152]. حُول أحمد، وهو بحار سابق في الباخرة المصرية (زمزم)، في آذار عام (1943 م)، بسبب انتهاك عقد

العمل، و«رفض العمل»، إلى معسكر إعادة التربية في برمن-فارغه[153]. وبسبب «نوبة تسكع في أثناء العمل» و«رفض العمل»، انتهى المغربي إبراهيم م، والجزائري بوقفة م، إلى معسكر إعادة التربية في أبرلتنسندُرف[154]، وانتهى الجزائري علاوة ج، ومحمد أ، في عام (1942 م)، إلى معسكر إعادة التربية في مالتهُين[155]. أما الأولان فجيء بهما إلى معسكر الاعتقال في ماوتهوزن، وأما علاوة ج، فجيء به إلى معسكر الاعتقال في بوخنفلد، ولقي المغربي محمد بشير حتفه في معسكر إعادة التربية ليبناو[156]، أما الجزائري أحمد سميلي فقد أُردي قتيلاً بإطلاق النار عليه في الرابع من تشرين الأول عام (1944 م) لدى هربه من معسكر إعادة التربية في هلندُرف[157].

وكان أسرى الحرب العرب يعاقبون، على وجه الخصوص، على «عدم الطاعة والامتثال» و«إصابة الجسد أو إيذائه» و«الاغتصاب»، أي: على جنح كانت تُؤثر، على وجه الخصوص، تماماً بعزل الفاعلين عن العالم الخارجي، وكذلك بأشكال من التوتر في مجتمع المعسكر. كما يمكن أن يدخل «التمرد أو العصيان»، في هذا الباب، وقد حكم بذلك على الجزائري أحمد غ، في عام (1943 م) بالسجن خمس سنوات[158]. وفي وجهة نظر معينة تدخل أيضاً معاشرة النساء الألمانيات، في باب أمثال هذه الجنح: ولكن في الوقت ذاته يجسِّد المأخذ على هذه الفعلة، أيضاً، الأسلوب العنصري في التعامل، الذي كان النظام النازي يراعيه مبدئياً في تعامله مع "الشعبي الأجنبي" في مجال سلطانه. أما سليمان ك، المولود في لبنان، فقد حكم عليه، بهذه الجريرة، بالسجن عاماً ونصف العام[159]. وانتهى هو، و غ، إلى التكفير عن ذنبه بالاعتقال في سجون براندنبورغ وأُنترماسفلد[160].

أما في المضمار المدني فقد حدثت، أيضاً، ملاحقة بوليسية، وقانونية للعرب، وهذا ما يُفترض من أن توضحه الحالات المتباينة التالية:

1) في أيلول من عام (1942 م)، تمّ إبلاغ المالك الفلسطيني لبار الكارلتون في شارع رانكِ ببرلين وهو محمد ال(ك)، بالاستناد إلى

إفادة مركز مراقبة الأسعار وفرض الغرامات على انتهاك القانون والنظام، وبوجوب الكَف عن مزاولة كل نشاط في مهنة الحانات والمطاعم والفنادق، و«فُرض عليه أن يبيع مؤسسته إلى شخصية يترتب على الشرطة أن تسميها». وقيل إن الرجل أوعز ببيع الشمبانيا بأسعار مرتفعة كثيرًا، ومع ذلك فسرعان ما تبينت خلفية سياسية صارخة لهذه القضية: وذلك أن المشتري الذي أوصت به الشرطة وجهاز الأمن (SD) لشراء الحانة، كان قائد زمرة صغيرة من منظمة (وحدات الدفاع)، من معوَّقي الحرب، ظفر بالحانة التي كانت أحوالها في ازدهار بثمن بخسٍ للغاية، بلغ نحو (6000) مارك إمبراطوري، وكان هذا أقل من عُشرة بالمائة من سعر الشراء الذي كان في وسع المالك المهدَّد بإقامة الدعوى عليه، أن يصل إليه بطريقة طبيعية. وعلى الرغم من قلق وزارة الخارجية والمفتي أيضـــًا، حيال تصرف الشرطة، و(جهاز الأمن) إذ قالا إن «مراقبة الشرقيين عن طريق الشرطة» في محل من محال اللهو يملكه عربي، لابد أن تكون «أهون وأيسر» فقد تم التنازل لصالح الألماني. ولم يكد يحدث هذا حتى قررت المحكمة المختصة، في كانون الثاني (1943 م)، تأجيل النظر في الدعوى إلى أجل غير مسمى، لأسباب متعددة، كان منها أن الاتهام «لم يجر الإعداد له بالقدر الكافي من الناحية القانونية» وأنه لا ينبغي النظر إلى هذه الحالة على أنها «ذات شأن كبير إلى هذا الحد»، ما دامت الشمبانيا ليست سلعة ذات أهمية حيوية»[161].

2) ثم إن المفتي الحاج أمين الحسيني، مارس أيضـــًا، في الحالتين الأخريين دورًا، وكان دوره في تلك الحالة، أي: حالة مواطنه، بطرس ش، غير مُشرف أبدًا. فقد اعتقل الغستابو هذا الفلسطيني في كانون الأول عام (1943 م) بسبب «تصريحات سياسية» لم يجر تفصيل القول فيها. وفي كانون الثاني من السنة التالية، كما تفيد ذلك مذكرة خطية لوزارة الخارجية، تم تسليمه إلى معسكر للعمل بالسخرة في برلين، «بإيعاز من المفتي». وكانت المسألة تتعلق، في هذا الصدد، بمعسكر إعادة التربية في برلين–فولهايده[162]. وحين التمس الرجل التعيس تخفيف إجراءات الاعتقال، وتأمين المواد الغذائية، أفهمه أمين سر المفتي،

فرحان الجندلي، أنه ليس هناك اهتمام بالسيد ش «من جانب المفتي ». وعلى أثر ذلك تركت وزارة الخارجية لتقدير الغستابو، مسألة الفصل في ما يُفترض أن يحدث بعد ذلك للفلسطيني[163].

3) وفي كانون عام (1943 م) اعُتقل، في شفاينفورت، الطالب العراقي، سيد داود ي، بسبب الاشتباه في مساعدته حَماهُ المستقبلي، رامي الرمانات في القوات المسلحة، على الهرب من الخدمة العسكرية. وكان سيد داود ي، قد عقد خطوبته على أخت الجندي، وكان له منها ولد. ومع ذلك فلم يكن من الجائز له أن يتزوجها «لاعتبارات عنصرية». وحاول أخوه، الذي كان من العاملين مع رئيس الوزراء العراقي السابق، الموجود في منفاه الألماني، رشيد عالي الكيلاني، أن يساعده بالتوجه إلى هذا وإلى المفتي طلبـاً للشفاعة والتوسُّط. ولا يُعرف هل تم هذا في أي يوم من الأيام حيث يبدو أقرب إلى أن يكون موضع الشك والتساؤل. وعلى كل حال، وبتاريخ أيار عام (1944 م) حكمت المحكمة الاستثنائية في فُرتسبورغ على سيد داود ي، الذي زوّد الهارب من الخدمة العسكرية بالمال وعناوين الاتصال في البلدان العربية، بالسجن ثلاث سنوات: وذلك أن طيب قلبه الذي هو مخفف للعقوبة، عُدَّ من الأمور الباعثة لتشديد العقوبة، لكونه «أساء إلى حق الضيافة أفدح الإساءة» وشجع تصرفـاً ينطوي على «مساس مباشر بالقوة الدفاعية للرايخ الألماني»[164]، وفي نيسان عام (1945 م) جيء بالمدعو سيد داود ي، إلى معسكر الاعتقال في دخاو.

2/ 7) ملاحقة خصوم النظام النازي من العرب في الرايخ وفي المناطق المحتلة

لقد لوحق العرب أيضـاً، كما تشير إلى هذا الملاحظات الأخيرة، بسبب مناوأتهم النازية، وكذلك بسبب مقاومتهم الفاعلة لنظامها.

فمنذ (13) أيار عام (1939 م)، حكمت محكمة الاستئناف العليا في فينا على علي بن م، المولود في طنجة، بسبب التحضير للخيانة العظمى، بالسجن

عامين. وأُخذ على المغربي، الذي كان هرب من الجيش الفرنسي في مستهل العشرينات، بأنه كان يمهد، في محيط شتاير، من دائرة لايننتس «عن طريق الدعاية الشفهية الشيوعية، لمشروع تغيير دستور الرايخ بطريق التهديد أو بطريق العنف». وأُدخل في الحُسبان على أنه من بواعث تشديد العقوبة، أن المتهم الذي سبق أن عُوقب ذات مرة، في آب عام (1938 م)، «لخطابات مهينة داعية لازدراء سلطات الدولة»، وطُرد من البلاد[165]، وأنه صدرت من لسانه شتائم ضد القائد [الفورر. ز م][166].

أما ابن بلده، أُتمار بن م، الذي كان هارباً من الجيش [الفرنسي] أيضاً، والذي عُمِّد في عام (1929 م) وبَدّل اسمه وتزوّج نمساوية، فقد حكمت المحكمة ذاتها عليه، في (1940/01/09 م)، وبسبب الجريمة ذاتها، بالسجن عامين ونصف العام. وكان عامل الطرق في كرنتنر لفنتال قد استمع إلى برامج بث إذاعي من راديو موسكو، وتحدث عنها مع زملائه. ورأت المحكمة في هذا الرغبة في التأثير فيهم بعقليته الشيوعية، والتحضير، بذلك، لتغيير بالعنف موجه نحو أهداف انقلابية للشيوعية، وقدّرت أن من البواعث الذي تزيد في شدة العقوبة، إلى جانب ما تنطوي عليه تصريحاته من «الكراهية الخصوصية»، ذلك الظرف المتمثل في أنه «كان خليقاً أن يكون ملتزماً بامتنان أكبر من هذا تجاه البلد المضيف»[167].

وبعد بداية الحرب كانت للعرب أيضاً مشاركة في المقاومة المسلحة لحكم النازي، ومن أجل ذلك كانوا عُرضة للملاحقة الخاصة.، ومن هذا القبيل ما حدث في تشرين الثاني عام (1943 م)، للمطلوب عن طريق البرقية الخاطفة من رئيس الغستابو، هاينرش ملر، وهو المظلي البريطاني المشهور بجاذبيته الكبيرة، والذي قفز بمظلته عند دسلدورف، علي محمد، وهو «عربي» أنموذجي[168]، إذ شارك بعضهم في عمليات تعبئة أعضاء منظمة (تنفيذ العمليات الخاصة/ SOE)[169] وعمليات فدائية أخرى للحلفاء، غير أنهم انضموا قبل كل شيء إلى المقاومة الفرنسية. وكان الطالب عثمان بن

علية ينتمي إلى (كتائب الشباب) في باريس[170]، وكذلك انتمى الجندي التونسي حسن بن محمد إلى شبكة المقاومة فليت (Vélite)، وكان محمد مولد عبد الله ينتمي إلى مجموعة جورج أوبير[172]، وكان المقاتلون السابقون في إسبانيا، كالجزائري بوزيد خلوفي[173]، ومحمد تيروش[174]، يستأنفون نضالهم ضد الفاشية، أيضـــاً، في إطار المقاومة.

وفي الكفاح قدَّموا تضحيات أيضـــاً، ففي العشرين من أيلول عام (1941 م)، أُعدِم في فورت مون فلرِيَن، في سرسن، بالقرب من باريس، أنطوان الحاج، اللبناني المولد. أما المحامي الشيوعي الذي اكتسب شهرة في دفاعه عن كثيرين، ومنهم القوميون الجزائريون[175]، فقد اعتُقل في حزيران، ثم أعدم رميـــاً بالرصاص وهو رهينة تقصد مبادلته بجندي ألماني قُتل على يد المقاومة[176]، ولقي المصير ذاته في كانون الثاني عام (1942 م)، السيد حداد[177]. وفي أول آب عام (1942 م)، أُردي الممرض الجزائري، محمد سليمان، قتيلاً في السجن الباريسي (لا سانتيه)، وكان هذا، الأب لخمسة أطفال ينتمي إلى مجموعة (ديوت) التابعة ل(المنظمة الخاصة)، وقد شارك في عدد من الاغتيالات[178]. وكان ابن بلده، محمد تمامي الأخضر، قد وزَّع، قبل أن ينضم إلى منظمة (قناصة وأنصار)، منشورات ضد المحتلين النازيين، في باريس، وقد ألقي القبض عليه في (31) كانون الثاني عام (1943 م)، وأُعدم في العام ذاته[179].

أما في الجزائر فقد توجهت المقاومة، قبل كل شيء، ضد نظام حكم فيشي المتعاون مع النازيين. واستخدم الشيوعيين، محمد كاتب إلياس، وكاتب ياسين، وأحمد إسماعيلي، وهو محارب سابق في إسبانيا، من أجل ذلك، الناطقة باسم حزبهم التي تظهر بصفة غير قانونية، وهي صحيفة ‹[الكفاح الاجتماعي]/ La Lutte Sociale›. وحكم على أحمد إسماعيلي، بسبب ذلك، في عام (1942 م)، غيابيـــاً بالقتل[180]. ولم يكن بدٌّ لكثير من

رجال المقاومة أن يقضوا مدة عقوبتهم في «معسكرات الاعتقال» ذات السمعة السيئة، في جنوبي الجزائر[181]، وكان بينهم (22) عضواً من الحزب الشعبي الجزائري كانت حكمت عليهم المحكمة العسكرية في الجزائر، في (17) آذار عام (1941 م)، ولم يتحرَّر معظمهم إلا بعد شهور من نزول الحلفاء في شمالي إفريقية. وفي إحدى المرات، في دينين بورزق، عند عين صفرة، كان يقعد، بين القاعدين، أعضاء الحزب الشعبي الجزائري، معمر بن برنو، ومحمد أرزقي بركاني[182] ومهند أموكرين خليفاتي وأحمد ميزيرنا. وكذلك الشيوعيون محمد بدسي، والعربي بوعالي وعمار أوزيفان، وقدّور بلقايم، وعلي ربيعة، حيث لقي الأخيران حتفهما هناك[183]. وقضى الشيوعي علي ديابيش مدة عقوبته في سجن لامبيز قرب بتنا، ومات عضو الحزب الشعبي الجزائري محمد دُوار هناك[184].

وكان يشكل هناك مجموعة خصوصية أولئك الذين كانوا يُسمون: معتقلوا (NN)، وكانت تسمية هؤلاء السجناء ووضعهم يرجعان إلى التوجيهات الصادرة في السابع من كانون الأول (1941 م) «عن رئيس (القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية) فلهلم كايتل، في المناطق المحتلة» لملاحقة الأفعال التي تستوجب العقوبة، و«المُرتكبة بحق الدولة أو ضد قوات الاحتلال في المناطق المحتلة»[185]، وإلى رسالة مرفقة، مؤرخة في (18) كانون الأول، ورد فيها، ضمن أمور أخرى، قوله: «لا يمكن الوصول إلى ردع فعال مستديم إلا بعقوبة القتل أو بإجراءات تجعل من يهمُّهم الأمر والسكان، على غير يقين من مصير الفاعل، ومما يخدم هذا الغرض النقل إلى ألمانيا»[186]، وهو الأمر الذي يتعين أن يتم بسرية كاملة، وفي جنح الليل ومن وراء الضباب، كما يقولون في (معتقلي الليل والضباب/ NN). وكان المعتقلون الذين كانوا في العادة مقاتلي المقاومة، وأتباعها والمتعاطفين معها، تحكم عليهم المحاكم الخاصة التابعة للقوات المسلحة، ثم محاكم مدنية خاصة،

وكذلك (المحكمة الشعبية)، مع استبعاد الجمهور. وإذا لم يكن الحكم بالقتل، كانت الشرطة الحربية تأتي بهم، وبالتالي، الغستابو، إلى منشآت الاعتقال وإلى معسكرات الاعتقال، حيث كان القوم يعرفونهم ويميزونهم بأنهم معتقلو (NN)، ويُعزَلون عزلاً صارمـــاً.

أما أسرى ال(NN) المعتقلين في فرنسة، وفيهم العرب، فكانت المحاكم الاستثنائية في كولونيا وإسن هي المختصة بهم. ونتيجة لازدياد هجمات الحلفاء بالقنابل، تمّ تحويلهم في عام (1943 م) إلى برسلاو وأُبلن، كما كان يتم إخلاء السجناء في المعتقلات إلى مواقع أقرب إلى الشرق[187]. ولقد وجدت نحو أربعين عربيـــاً من المعتقلين في سجون بوتِن، وبوخوم، وبرندنبورغ، وبرُخزال، وديتس، ودرتموند، وإسترفغن، وغراودنتس، وغرُس-شترلتس، وهامِلن، وكاسِل، وكولونيا ورايِنباخ، وساربرُكِن، وزيغبورغ، وزُنّنبورغ، وتربيه، وفرصوفيا، وفتلش، وكان يوجد بينهم سيد أ، وسيد بن د، وبليد برقان. أما الجزائري سيد أ، فكان قد جيء به في (1942/07/29 م)، من سجن (لوز-ليه-ليل)، إلى بروكسل، وبعد فترات إقامة في سجون بوخوم وكولونيا، بين (04/05) (1943/06/14 م)، سُلِّم إلى سجن زنْنبورغ[188]. وهناك يتلاشى أثره. وأما العامل الريفي سعيد بن د، فقد اعتقلوه بسبب مشاركته في أعمال العصابات، ويُظنُّ أنه قد تم تحويله، من دون أن يصدر فيه حكم، من شالون-سر-مارن، مرورًا بمعتقلات كسِل، ورايِنباخ، في (27) أيلول عام (1944 م)، إلى سجن برندنبورغ[189]، ولا يُعرف شيء عن مصيره. وأما برقان فقد كان حُكم عليه في (7) نيسان عام (1941 م)، بسبب حيازته الأسلحة، بالسجن عشرة أعوام وتم نقله من أُرليانز، مرورًا براينباخ وزيغبورغ، في (20) كانون الأول عام (1944 م)، أيضـــاً، إلى برندنبورغ، وهناك مات في (24) شباط (1945 م)، بالسل[190].

أما أن العرب أيضـــاً كان يُشتَبه فيهم اشتباه تعسفيـــاً على نحو كامل، ويُعتقلون، فذلك ما توضحه رواية فرنسي تم ترحيله وإبعاده. وقد لَقيه في

سجن فورت دي مونتلوك، في مدينة ليون، بين مقاتلي المقاومة والمهاجرين الإسبان، واليهود، تونسي، كان لا يفتأ يقول وقد روَّعه كل التَّرويع، وجودُه هناك: كل شيء إلا أن تُمعنَ النظر في هذا، يا صديقي[191].

2/ 8) المعتقلون العرب في معسكرات الاعتقال

كانت هذه الفئة من الضحايا التي ظلت مجهولة زمنـًا طويلاً، في الواقع، تتبوأ مركز الصدارة في أبحاثي[192]. ولما كانت قد نُشرت في هذه الأثناء تقديرات مؤقتة لهذه الدراسة[193]. فسوف تقتصر التفصيلات التالية على الملاحظات التلخيصية، وبعض الاستدراكات والتصحيحات.

لقد تناولت بالبحث حتى الآن حوالي (450) معتقلاً عربيـًا، بأسمائهم، ومع ذلك فمن الجائز أن يكون عددهم الحقيقي أعلى من ذلك بقدر لا يستهان به، وكانوا يوجدون، بكل معنى الكلمة، في كل معسكرات الاعتقال: في آوشفتس (34 شخص)، برغن-بلزن (21)، بوخنفلد (148)، دخاو (84)، فلُسنبرغ (39) غروس-روزِن (112)، ماوتموزن (62)، متلباو-دورا (39)، نتسفايلر (37)، نوينغمّه (110، منهم 73 في المعسكر الخارجي أوريني)، رافنزبرك (25)، ريغا-كايزَرفالد (1)، زكسنهاوزن (42)، شتُتهُف (3)، فرصوفيا (2)، فِفلِزبورغ (2)، وكذلك في معسكر (وحدات الدفاع/ SS) الاستثنائي، هنْتسرت (3)، وفي معسكرات شيرمك-فربروك (7)، وفي معسكر الإبادة لُبلين-مَيْدَنك (4). وكانت أغلبية المعتقلين ترجع إلى شمالي إفريقية، إلى الجزائر (248)، والمغرب (27)، وتونس (22)، وكان بعضهم من مصر (5) ومن العراق (4) ومن لبنان (1) ومن فلسطين (4) ومن سورية (1)[194].

ولا تقدِّم المحفوظات المتوارثة إلا قليل من الإشارات إلى أسباب تحويل هؤلاء البشر إلى معسكرات الاعتقال، ومع ذلك فمن الممكن أن نميِّز خمسة أسباب:

1) المشاركة في كفاح المقاومة ضد النازيين، ولاسيما في فرنسة، أو مساندها، وقد سبق ذكر بعض هؤلاء من العرب المعتقلين لهذا السبب، بصفة معتقلي (NN). وقد عثرتُ على (17) من هؤلاء على الأقل، في معسكرات الاعتقال، وكانوا، على الأرجح، في بوخنفلد، وغروس–روزن، وماوتهوزن، وناتسفايلر، وزكسنهوزن، وكذلك في معسكر منظمة (وحدات الدفاع) الخاص هنتسَرت. وكان منهم علي بن ز، ومحمد أ[195]. وكان المغربي علّي بن م، قد حكمت عليه المحكمة الاستئنائية إسترفغن/إسن بالسجن خمس سنوات، وفي أيلول (1943 م) حُوِّل إلى سجن زنتبورغ. وفي تشرين الثاني عام (1944 م) جيء به إلى معسكر اعتقال زكسنهوزن، وفي شباط (1945 م)، إلى ماوتهوزن، حيث تمّ تحريره في (5) أيار على يد القوات الأمريكية. أما محمد أ، فقد جيء به في كانون الثاني (1944 م)، من لوس–ليه–ليل مرورًا بهاغن، إلى إسترفغن، وفي أيار أُخْليَ منه وأُدخل إلى غروس–شترِلتس، قبل أن يأتي، من دون قضية ولا حكم، في شباط عام (1945 م)، إلى معسكر الاعتقال في بوخنفلد، الذي خرج منه سالمـًا على الأرجح.

وفي مقابل ذلك لا يُعدّ من معتقلي (NN)، بل يعد من معتقلي 'السياسيين' الذين يحملون شارة الزوايا الحمر، وبالتالي، من «معتقلي الحماية»، أي: من معتقلي الأغلبية الكبرى لنزلاء معسكرات الاعتقال من العرب، الجزائري، عقلي بتون، وكان يعيش منذ عام (1916 م) في فرنسة، وكان من القياديين في حركة (نجمة الشمال الإفريقي/ ENA)، وعضواً في المنظمة القومية التي خلّفتها، حزب الشعب الجزائري (PPA)، وهي التي خرج على قيادتها هو وقسم لا يستهان به وجنحوا إلى التعاون مع الألمان، بلا ريب. وفي عام (1942 م) ألقت القبض عليه سلطات حكومة فيشي[196]. وفي (1944/05/24 م)، نُقل، على ما يُظن، بناءاً على مرسوم شبرله، من معسكر الاعتقال المركزي البوليسي للغستابو في كُمبيين، إلى معسكر اعتقال نوينغمه، وشهد تحريره في المعسكر الخارجي برمن– فارغه[197].

ولم يلقَ هذا الحظ مواطنه صلاح بوشافا، وكان، مثله، مشاركاً في تأسيس حركة (نجمة الشمال الإفريقي)، ثم صاحب منصب

قيادي في قسم شمالي إفريقية داخل اتحاد نقابات العمال الشيوعية (CETU) وخريج جامعة الكومنترن بموسكو[198]. جيء به، في (1944/07/25 م) إلى دخاو، وفي (1945/04/06 م) مات في أثناء نقله إلى معسكر الاعتقال في فلسنبرغ، على ما يُظن.

2) المشاركة في الحرب الإسبانية إلى جانب الجمهوريين، وذلك أن المقاتلين السابقين في الحرب الإسبانية، من إسبان ودوليين، والمتعاطفين مع الجمهورية الإسبانية، كانوا يُسلمون، بحكم كونهم ممن يُسمونْ (الإسبان الحمر) ذوي الزوايا الزُرق، على وجه الخصوص، إلى معسكر الاعتقال في ماوتهوزن، ولقي هذا المصير أيضـــا بعض العرب الذين كانوا شاركوا في الدفاع عن الجمهورية[199]، وكان منهم المغربي، طهّار بن مقدّم، والجزائري كرميش أرسكي. وجيء بنْ مقدّم في (1941/04/07 م) من المعسكر المخصص كيزرشتاينبرُخ إلى معسكر ماوتهوزن الذي هرب منه في (1941/08/28 م)، إلى مصير غير معروف[200]. أما أرسكي، فقد جيء به، في (1941/01/19 م)، من كُمبيين إلى «المعسكر الصغير» السيئ السمعة[201] في معسكر اعتقال بوخنفلد، الذي خرج منه سالمـــا.

3) كان كثير من المعتقلين من العمال الأجانب وعمال السخرة السابقين، أو من أتباع منظمة تودْت وأسرى الحرب، الذين اعتُقلوا لأسباب سبق ذكرها، ومنها كونهم «مجرمين بحق اقتصاد الحرب» و«منتهكي بنود عقود العمل»، أو معتقلين، أول الأمر، في سياق «عمليات تمشيط وتطهير»، ثم سُلموا إلى معسكرات الاعتقال. وهذا ما حدث، كما ذكرنا آنفـــا، لمُفسد الشعب، رعشي، الذي دخل معسكر الاعتقال في برغن–بلزن، ولمعتقلي (معسكر إعادة التربية)، علاوة ج، وإبراهيم م، وبوقفة م، الذين حُولوا إلى بوخنفلد، وبالتالي إلى ماوتهوزن. وفي صورة معتقلي الأشغال الشاقة، جيء، مباشرة إلى دخاو، فيما بين شباط عام (1943 م)، وكانون الثاني عام (1944 م)، ضمن أناس آخرين، بمحمد أ، ومحمد ب، ومحمد ت، وعمار غوجام، إلى معسكر اعتقال فلسنبورغ حيث لقي حتفه هناك في (1944/09/22 م)، حيث كان منذ الحادي عشر من أيلول (1943 م). وبسبب

«التقصير والتقاعس عن العمل» ألقى الغستابو القبض على محمد س، في (1944/07/04 م) في دنتسغ، وسُلِّم إلى معسكر الاعتقال شتتهف. وبسبب (التقاعس عن العمل/ ASR) أحضر الهاشم م، إلى معسكر الاعتقال العائد للشرطة في متس إلى السجن في هدرهايم، وفي (1943/04/30 م)، إلى بوخنفلد، وعلى نحو مماثل، اكتسب صفة معتقل (التقاعس عن العمل/ ASR)، المصري عبد الرحمن ب، إذ اعتقل الغستابو في (1943/01/07 م) في فرانكفورت ماين، في هخست، ونُقل، أيضاً، إلى بوخنفلد، وفي آذار حُول إلى معسكر الاعتقال في ريفا-كيزرفالد، التي لم يكد يخرج منه سالماً. وكان الغستابو قد اعتقل أيضًا محمد مربوش في فرانكفورت ماين بتاريخ (1943/02/28 م)، وجيء به، في نيسان بصفة معتقل (التقاعس عن العمل) مع الزاوية السوداء إلى المعسكر الخارجي لايبتسغ-تكلا في معسكر اعتقال بوخنفلد، وبعد عام دخل معسكر الاعتقال الخارجي ملزن، من معسكر اعتقال فلُسنبرغ، حيث قضى في (1945/03/28 م).

4) كان بعض المعتقلين يوجدون بسبب التصرف الذي ينطوي على انتهاك القانون فيما يتعلق بتوجيهات الدولة في المعسكر، ومنذ السادس والعشرين من أيار عام (1937 م)، كان هتلر قد أمر بتنفيذ الاعتقال بقصد النفي والإبعاد، في معسكرات الاعتقال، ونتيجة لذلك استطاع الأجانب الذين ليس لهم دولة ينتمون إليها، والذين كان حُكم عليهم، بموجب القانون المتعلق بتوجيهات الدولة[202]، بالإبعاد، أو، بسبب خطورتهم أو إزعاجهم الخصوصي، فحسب، أو يحظوا بالتحفظ عليهم في معسكر اعتقال. وقد حدث هذا، على الأقل لأربعة من الجزائريين عُدوا ممن ليس لهم دولة ينتمون إليها. وأما صلاح ب، الذي كان قد حُكم عليه، بعد أن كان ارتكب، منذ العشرينات، جنحاً تتعلق بالملكية، في أماكن عديدة منها فرانكفورت ماين ولايبتسغ، في أبريل عام (1936 م)، في برندنبورغ-هافل، بسبب مخالفاته القانون الخاص بحالات حرمانه من حماية القانون، وجيء به أول الأمر إلى السجن الموجود هناك، ثم جيء به إلى معسكر اعتقال زكسنهاوزن، وفي شباط عام (1945 م) جاء إلى

ماوتهوزن، حيث «أُطلق سراحه» بعد شهرين. وحدث شيء مماثل لهذا، لبلقاسم ك، الذي لبث، منذ أيار عام (1939 م) وحتى كانون الثاني عام (1940 م)، في سجن برلين-بلتسترِيه، ثم جاء، بصفة «معتقل محكوم عليه بالإبعاد»، إلى زكسَنهاوزن وفي تشرين الأول عام (1942 م)، إلى دخاو. وفي كانون الأول «أُطلق سراحه» هناك. وقُبض على جزائريين آخرين، عام (1939 م) في «محمية بوهِمن-ومِيْرن»، حيث كان من الواضح أنهما يعيشان بصفة مهاجرِين من أجل العمل: وكان محمد ر، أول الأمر يحمل صفة معتقل (التقاعس عن العمل) في بوخنفلد ثم في تروباو (أوبافا)، في حبْس وقائي (احتياطي)، قبل أن يعود إلى بوخنفلد بصفة معتقل مُحكوم عليه بالإبعاد. وفي تشرين الأول عام (1940 م) «أُطلق سراحه» في سجن الشرطة. أما "التشيكي" محمد مالك فجاء آخر الأمر بصفة معتقل محكوم عليه بالإبعاد إلى زكسنهاوزن أول الأمر، وفي آب عام (1940 م)، إلى دخاو، وهناك مات في (1941/02/27 م).

5) الانتماء إلى اليهودية. كان يوجد، بين نزلاء معسكرات الاعتقال من العرب، أناس كثيرون يشار إلى سبب اعتقالهم بكونهم "يهودًا"»، وما من شك في أنه قد جيء بهم إلى معسكرات الاعتقال لأسباب 'عنصرية'. وكان يوجد، إلى جانب من يسمُّون (يهود التبادل)، القادمين من اليمن ومن ليبيا، الذين كان يُتَحَفظ عليهم في معسكر اعتقال برغن-بلزن، وفي معسكرات الاعتقال الأخرى[204]، من بين هؤلاء أمثاله من الجزائر، وآخرون أقبلوا من المغرب، وتونس والعراق، وكان منهم داود س، من مواليد بغداد، الذي جيء به، في (01/20/ 1944 م) مما يسمى (معسكر اليهود درانسي) إلى آوشفتس، وجاء في نهاية كانون الثاني (1945 م) إلى ماوتهوزن، حيث تم تحريره. وما من شك في أنه كان بين العرب اليهود أعداد جمة ما عادت توسم بتصنيفها في فئة 'اليهود' وهو والتصنيف الذي يشكل خطرًا على الحياة، ومن قبل الغستابو، وبالتالي، من قبل منظمة (وحدات الدفاع): بل كان بعضهم، كالمغربي محمد ز، والجزائري ألفريد بن هامون اللذين جاءا، كذلك، من آوشفتس

إلى ماوتموزن يُزور ببطاقة، ضمن أوراقه، تشير إلى انتمائه إلى ديانتين، هما م(وُسَوِي)، وم(حَمّدي)، وهنا يغلب على الظن التكهن بأنه، بصرفَ النظر عن احتمال حصول خطأ في القراءة، أو 'خطأ كتابي' كانت لهما نتائج مصرية، كان هناك معتقلون يهود يُعدون مسلمين أو مسيحيين، أو ربما كانوا ينتحلون هذه الصفة لأنفسهم، وهو الأمر الذي كان خليقـاً أن يحفظهم من مصير اسوا[205].

وكان يوجد، بين المعتقلين في معسكر اعتقال بوخنفلد، وفلُسنبرغ، ولُبلين–ميدنك ورافنزبرك، أيضـاً، نساء عربيات، ونساء أوروبيات متزوجَات من عرب، وأسباب مجيئهن إلى هنا شديدة التباين، على قدر ما يمكن أن يتبين لنا. أما الجزائرية طاووس م، فقد أحضرها الغستابو في زاربركن في تموز عام (1944 م) ، على أنها «امرأة سياسية»، إلى معسكر الاعتقال في رافنزبرك، ثم جيء بها، عن طريق لايتسغ إلى المعسكرات الخارجية، شليبن، وألتنبورغ التابعة لمعسكر اعتقال بوخنفالد، وشهدت تحريرها في أثناء زحف قوات الحلفاء في نيسان (1945 م) عند ميران. وأما أرزُلا ب، وهي ألمانية متزوجة من المصري المقيم في القاهرة، لطفي ب، فقد جاءت في أيار عام (1944 م)، بصفتها «سياسية مصرية» إلى رافنزبرك، وقد كانت اقترحت مبادلتها وابنها محمود رياض المولود في عام (1939 م) بامرأة ألمانية معتقلة في مصر. ومع ذلك فقد قبض الغستابو عليها في نيسان (1943 م)، وهو الأمر الذي ثارت من جرائه هواجس وشكوك بصدد المبادلة بها، «لأسباب عسكرية أمنية»[206]. وفي آذار عام (1944 م) حكمت عليها محكمة هامبورغ الإقليمية، بسبب «البوح بأسرار الدولة» بالسجن عشرة أشهر. ومع أن العقوبة انقضت مدتها، كما تبين من الاعتقال من أجل التحقيق[207]، أمرت منظمة الغستابو بحبسها طوال مدة الحرب من باب الاحتراز، «إذ كان يُخشى أن تلحق أرزُلا الضرر بمصالح الدولة الألمانية»[208]. وتم تحويلها، في كانون الأول (1944 م) من رافنزبرك إلى المعسكر الخارجي في درسدن–ترخاو التابع لمعسكر اعتقال فلُسنبرغ، حيث يظن أنها تحرَّرت. وأما لوسي م، ابنة

العشرين حولاً، فقد تم تحويلها في (1943/02/17 م)، «بصفتها من هُجناء المغرب مع أربعة من الهجناء اليهود وواحد من هجناء الغجر»، من معتقل (معسكر حماية الشباب أوكرمارك)[209] إلى معسكر اعتقال رافنزبرك[210]. وكان سبب الاعتقال المبين كونها «مُفسدة للمجتمع» وكانت المدعوة لوسي م. تنتمي، على ما يبدو واضحـــا للعيان، لأبناء النساء الألمانيات وجنود الاحتلال الفرنسيين «الملونين» من إقليم الراين، اللواتي سبق ذكرهن، واللواتي كن مهددات، ضمن أمور أخرى، بالتعقيم. أما ما تبقى من مصير لوسي م، فغير معروف.

أما ظروف معيشة المعتقلين العرب في معسكرات الاعتقال ومعاملتهم فبالكاد تتوافر عنهما معلومات نوعية حتى الآن. وقد تحدث المعتقل السابق زكسنهوزن جوزيف ر، في إفادته التي أدلى بها إلى الإدعاء العام في كولونيا، في عام (1966 م)، عن «عربي، لم يكن يتكلم الألمانية على الإطلاق»، في المعسكر الخارجي برلين–لشترفلده–زود[211]. وقال إن هذا الذي كان يسميه المعتقلون معه «علي»، وكان يستطيع التفاهم بالفرنسية، كان رجل من رجال منظمة (وحدات الدفاع) يسيء معاملته إساءة بالغة، وكان شتاءا باردًا [(1944–1945 م)/ غ هــ]. وكان علي يُرغم على الوقوف ساعات في الخارج، وكان يُصب عليه الماء البارد، ويضرب ويداس بالأقدام. وكان المدعو علي، في تلك الأيام يبلغ نحو الخامسة والأربعين من العمر، وما من شك في أنه لم يُطق هذا، غير أني لا أعرف أي رجل من رجال منظمة (وحدات الدفاع) فعل هذا مع المدعو علي»[212].

وهذا الأسلوب في الإساءة، الذي هو معروف أيضــا من خلال كثير من الروايات عن التجاريب الأخرى لمعتقلين سالفين، ما من شك في أنه لم يكن أنموذجيــا، من أجل التعامل مع نزلاء معسكرات الاعتقال من العرب، غير أنه يدع تجربة إرنست غلتر تظهر في ضوء خصوصي عندما يلاحظ قائلاً: «لم يكن لدى العرب الناطقين بالفرنسية سوى المزايا التي يشيرون إلى وجودها لدى المعتقلين معهم، بصفتهم فرنسيين»[213].

ومن خلال إفادة المدعو ر، نعلم أيضــا أن المسلمين بين المعتقلين العرب، وكانوا يشكلون الأغلبية الساحقة، كانوا يمارسون

ديانتهم في المعسكر. وهو يتذكّر قائلاً: «وما زلت أعرف على وجه الدقة أننا كنا نضحك منه (أي من علي/ غ هـ) بعض الضحك كلما جعل صلاته إلى الشرق، وذلك، ببساطة لأنه كان يبدو لنا مضحكاً»[214].

كما إنه عُرف شيء آخر من ذكرى المشاركين في المعتقل، وهو مشاركة العرب في التحرر الذاتي لمعسكر الاعتقال في بوخنفلد. فبالاستناد إلى رواية بيير دوران، رئيس (لجنة بوخنفلد الدولية)، كان الجزائريون يتبعون كِرميش أرِسكي، ومسعود بن حاميش، من (لواء العمل الفرنسي التحرري)، الذي كان تم تشكيله في حزيران عام (1944 م) في المعسكر[215]. وكان المحارب السابق في إسبانيا، أرِسكي، قد أُقبِل في (19) كانون الثاني، وأقبل من حاميش في (14) أيار من كُمبيين إلى بوخنفلد، وشارك اللواء في (1945/04/11 م) في ثورة المعتقلين المسلحة، التي مكنت من تسليم المعسكر إلى القوات الأمريكية[216].

ومن حين إلى آخر يطرح السؤال عن الأسباب العنصرية لملاحقة جهاز القمع النازي العرب أو المسلمين، والزج بهم في السجون ومعسكرات الاعتقال، ثم يُنفى، ومن ذلك أن هِرْمن ل غرملتسا يقول: «إن معاداة السامية لم تُفضِ بعدُ بعربي إلى غرفة غاز ألمانية»[217]. وما من شك أنه لا يكاد يكون من الممكن أن نفترض أن المغربي محمد بوعيّاد قُضي عليه في (24/ 1945/04 م) في غرفة الغاز في معسكر اعتقال ماوهَوزن بدوافع تتصل بمعاداة السامية، أو لأنه عربي، بل الأحرى أنه سقط ضحية إرهاب النازي 'العادي' تماماً، مثل الملايين من البشر الآخرين غير اليهود. إذا ما ضرب المرء صفحاً عن أن من الواضح أن غرملتسا يقدر الضحية غير اليهودية، للنازية دون قدر الضحية اليهودية لها، فإنه يبدو أنه يتجاهل أن الإرهاب النازي مركب من أساسه تركيباً عنصرياً.

وهذا ما انتهى العرب أيضاً إلى الإحساس به. فقد كان الطلبة العرب يُهاجمون بسبب انتمائهم إلى 'عرق أدنى'، وكان يُفترض في أسرى الحرب

من العرب، بحكم كونهم "ملوَّنين"، من الناحية المبدئية، أن يُحال بينهم وبين عبور حدود الدولة، مثلما يكونون منفصلين عن "البيض" في معسكرات الاعتقال. ولقد أثبت "كونهم ملوَّنين"، على وجه الإطلاق، في سياق الملاحقة القانونية للأعمال التي تستوجب العقوبة، أنه باعث لتشديد العقوبة. ثم إن روسي م، المُفسدة للمجتمع، صُنِّفت ضمن فئة «الهجناء المغاربة»، ومن الواضح الذي لا لبس فيه أنها أُدخلت، لأسباب عنصرية، في معسكر اعتقال رافنزبرك.

ملحق

في ظل القمر: ضحايا النازية من العرب[1]*

قبل نحو عشر سنوات كتب إينا فردمن في مقدمة كتابها «الضحايا الآخرون/ The Other Victims» تقول: يؤمن كثير من الناس، بعد خمسين سنة من المحرقة، ان اليهود وحدهم كانوا ضحايا النازية، وليس هذا بصحيح. ففي الوقت الذي كان يقتل فيه ستة ملايين من اليهود في المحرقة، كان يُقتل أيضـاً خمسة ملايين من المسيحيين، عن قصد وتدبير وتصميم[2]. أما المسلمون أو الهندوس أو البوذيون، أو الشنتو، أو حتى الملاحدة، إذا شئنا أن نظل في نطاق الاستعمال اللغوي عند المؤلفة، فيوجدون، على ما يبدو، خارج نطاق نظرها.

وهذا الظرف يفترض ان يكون إلى لفت الانتباه أقرب منه إلى إثارة النقد، في صدد قلة البشر الذين هم، على ما يبدو، خارج نطاق الحضارة المسيحية-اليهودية، من حيث كونهم ممن مستهم الحرب، وعلى وجه التحديد، من حيث افتراض كونهم ضحايا الحكم النازي وإحساس المرء بهم، بهذه الصفة. وهذا يشمل العرب، الذين تمسهم المسالة هنا، كما يشمل اناسـاً آخرين

ينتمون إلى الشعوب الإفريقية والآسيوية، وكانوا موجودين، فيما بين عامي (1933 م) و(1945 م) في مجال الحكم النازي أو نفوذه. وكانت اصطداماتهم به لم تجد لنفسها مكانـــًا ثابتـــًا في الذاكرة الجماعية للشعوب، حتى عند شعوبهم هم، وذلك على النقيض تمامـــًا من اصطدامات اولئك المذنبين، كلقاءات مفتي فلسطين المشهور، أمين الحسيني. أما معاناتهم في ظله، وحتى كفاحهم ضده، فموجودان في (ظل القمر)، إن صح التعبير.

ولهذا الأمر أسبابه:

فإلى جانب الأفق الثقافي والتاريخي والسياسي المحدود، يترتب ذكر طاقة التصور التي تظل أبدًا غير كافية، كما هو ظاهر للعيان، مقارنة بشمولية القبضة، وتعدُّد طرائق الاضطهاد والقمع عند النازية. ويضاف إلى ذلك أن ذكريات الضحايا غير اليهود، وغير المسيحيين، وبالتالي ضحايا القمع النازي الذين هم خارج النطاق الأوربي، خلافـــًا لضحايا أولئك الآثمين، التي لم تُدوّن إلا في حالات جد نادرة، وتُعد في حكم ما لم ينشر أبدًا، وفي المذكرات المنشورة لرفاق آلامهم الأوربيين لا يوجد إلا القليل من الإشارات إليها وإلى مصيرها، وهذا ينطبق أيضـــًا على العرب.

وأضيفت إلى هذه 'الأشكال العامة من تعريض الذاكرة للخطر*'[3]، في سياق الصراع العربي الإسرائيلي، سياسة في التاريخ والتذكّر تحاول، ضمن أمور أخرى، وعن طريق احتكار الضحايا[4]، تقدير معاناة الجانب الآخر في كل مرة، من النازية، دون قدرها الصحيح، أو تجاهل هذه المعاناة، او حتى إنكارها. وقد أسهم هذا في عدم ورود الحديث عن الضحايا العرب، على الأقل، (وعن ضحايا خصوم النازية): والحق أن هناك حديثـــًا عن العرب المذنبين، ولكن لا حديث عن الضحايا العرب.

وإذًا فنحن، إذا ما طمحنا إلى شيء من قبيل العدالة التاريخية، إنما نعتمد على 'إعادة تركيب' الذكرى حيال هذه العدالة. ومن أجل ذلك توجد بين أيدينا مراجع، هي في الأغلب محفوظات يرجع القسم الأكبر منها في

مضطهديها ومعذبيها. وفي حالة تقويمها، يصادف المرء أشكالاً اخرى من 'تعريض الذاكرة للخطر'. على أن أكثرها لفتاً للأنظار، ينجم عن الظرف المتمثل في أنه يُذكر في هذه المراجع عربٌ بمقدار ما يُذكر أناس ينتمون إلى أمم اخرى، إفريقية وآسيوية، هم في العادة من تابعية كل دولة من الدول الاستعمارية، على حدة. أي أنهم يجري 'ترميزهم' بالأسلوب الاستعماري. فهم يظهرون، في المحفوظات، قبل كل شيء بصفة (فرنسيين)، وفي حالات أندر يظهرون بصفة (إسبان) و(إيطاليين). ونتيجة لذلك لا يمكن تمييزهم إلا عن طريق الأسماء وأمكنة الولادة.

وفي مواجهة هذه الخلفية، بحثت، في السنوات التي خلفتها ورائي، قبل كل شيء، في المحفوظات البلجيكية والألمانية والنمساوية، عن ضحايا عرب للنازية[5]. وأقصد بذلك أناساً كانت لهمن على وجه الخصوص في ألمانيا وفي أوربة المحتلة، لقاءات مباشرة، هي في الأغلب ما يشكل خطرًا على الحياة، وهي على كل حال لقاءات وصلت إلى أقصى الحدود، مع جهاز القمع النازي. والمراجع تفسح المجال، حتى الىن لسبعة من مواقف القمع، وبالتالي، تفسح المجال لتمييز سبع من فئات الضحايا التي ندر البحث فيها، أو لم يجر أبدًا. وأنا أذكرها بطريقة الناقاط الأساس فحسب، مع الاستعانة بالقليل من الأمثلة. وهي تظهر في تسلسل يدخل في حسبانه الترتيب الزمني للمواقف والأوضاع، ووطأة المعاناة المرتبطة بها والمتصاعدة في تزامن معهان عند أولئك الذين كان يسمهم القمع.

1) المضايقة والملاحقة اليوميان للمهاجرين العرب في ألمانيا والنمسا قبل الحرب العالمية الثانية

في كانون الثاني من عام (1932 م) أبلغت القنصلية المصرية سلطات الأمن في فيينا أنا النازين أهانوا الطلبة المصريين في غراتس واستفزوهم، وانهالوا عليهم ضرباً بالعصي، وأن «ما يثير الاستغراب» أن الشرطة لم تعتقل سوى

المصريين. أوعزت السلطات بإجراء تحقيق قضائي انتهى بتبرئة المذنبين النازيين، ومع ذلك صرفت النظر عن مسألة إبلاغ القنصلية بذلك »مادامت هذه لا تعود إلى القضية من تلقاء ذاتها». وبالمناسبة، فقد كان موظف قد كتب، وراء أسماء ثلاثة من المصريين الذين أصيبوا خلال الاعتداء، بقلم الرصاص، كلمة «يهودي». وفي شباط عام (1934 م) اشتكت المفوضية المصرية في برلين، لدى وزارة الداخلية في الريخ، من أن طالبــاً مصريــاً تعرض للإهانة والاستفزاز في مرقص في مدينة توبنغن، لأنه "أسود"، ينتمي إلى «عرق دنيء»، ولا يجوز له ان يراقص ألمانية، كما قال المعتدي، وصَفَقَ الباب. وظل من دون عقوبة. ومنذ تموز عام (1933 م) استعلم الدبلوماسيون عن انطباق الحظر المفروض في المدينة ذاتها، على الاستعمال العمومي لأحواض السباحة في الهواء الطلق، من أبناء الأعراق الاجنبية، على المصريين أيضــاً. وفي أيار عام (1934 م) أبلغتهم وزارة الخارجية أن الحظر مقصور على "اليهود".

2) تعقيم من يُسمون المغاربة الهجناء

وفي ربيع عام (1937 م) أصدرت اللجنة الخصوصية المشكلة في مقر الغستابو، في برلين، تعليماتها ب«التعقيم الذي لا يلفت النظر لأنغال إقليم الراين»، وكان هؤلاء أبناءً تم إنجابهم في أثناء الاحتلال الفرنسي لإقليم الراين، في العشرينيات، من جنود "ملونين"، وفيهم أبناء شمالي إفريقية، ونساء ألمانيات. وكان بينهم، وعددهم يبغ (600) نسمة، كثير من أبناء المغاربة، الذين يسمون «هجناء المغاربة»[6]. وتم تعقيمهم في صيف عام (1937 م)، يكونهم «حاملين الدم الأجنبي»[7].

3) اعتقال المهاجرين العرب عند اندلاع الحرب العالمية الثانية

وبعد بداية الحرب مباشرة، اعتقل، في ألمانيا، وفي النمسا التي ألحقت بها، وفي بولونيا المحتلة؛ المنتمون إلى ما يسمى بالدول المعادية، وكان بينهم اكثر

من مئة عربي، وفي مقدمتهم المصريون، وفيهم أيضــًا، العراقيون واللبنانيون والجزائريون. وجيء بالمصريين، بأمر من هتلر، رهائن مقابل كل ألماني اعتقله الإنغليز في مصر، إلى فُرتسبورغ بالقرب من نرنبرغ، «بمقدار مصريين مقابل كل ألماني معتقل في مصر، عندنا». وكان من المفروض ألا يبقى مطلق السراح إلا أولئك «الذين يعد نشاطهم نافعــًا لنا على نحو يمكن إثباته». ولم يطلق سراح المعتقلين من المعسكر إلا في حزيران عام (1941 م)، في ظل ضجة دعائية. وكان بعضهم يعاني داء مستحكم، وكان ىخرون محتجزين في مكان ما، غير هذا.

4) أسرى الحرب العرب، وعلى وجه التحديد جند شمالي إفريقية في الجيش الفرنسي

لم يتناول البحث حتى الآن، بالتحقيق، مصير هذه الفئة الكبيرة من الضحايا[8]. ومع أنه كان يتم إيوائهم وهم منفصلون عن الأسرى الفرنسيين البيض، ، على نحو مشترك مع السنيغاليين وأهل مدغشقر، جملة على الأغلب، بصفتهم «سودًا وملونين». وكانت الأغلبية موجودة فيما سمي معسكرات اعتقال ذوي المراتب الأدنى، في فرنسة وبلجيكا، أي: خارج حدود الرايخ. وفي عام (1940 م) يفترض أن عددهم زاد عن (67000) شخص، وفي عام (1944 م) مازالوا نحو (30000)، وكان يوجد نحو (10000) في معسكرات اعتقال ذوي المراتب الدنيا، الألمانية والنمساوية. ولا يعرف غلا القليل عن ظروف معيشتهم. ولم تحدث معاملة تفضيلية، لأسباب دعائية، كما حدث في الحرب العالمية الأولى، مع أن الجهات المدنية في الرايخ طالبت بها، من حين إلى آخر. وليس من المستيقن سوى أن مقدار الوفيات كان مرتفعــًا ارتفاعــًا فائقــًا، ولاسيما في معسكرات اعتقال المجندين المتطوعين. وهذا هو السبب الذي من أجله تم، منذ عام (1942 م)، فصاعدًا، تحويل كثير من الأسرى «لأسباب تتصل بالمناخ» إلى معسكرات في الجنوب الفرنسي.

5) خطب ود العمّال العرب، وإلزامهم بالعمل في فرنسة وشمالي إفريقية

وهذه الفئة الكبيرة من الضحايا لم يكد يجري البحث فيها أيضـــًا[9]. ففي عام (1943 م) يقال إن نحو (40000) من الجزائريين وحدهم، وفي عام (1944 م) نحو (60000) من الجزائريين، عملوا لحساب ألمانيا النازية. وكان من هؤلاء نحو الثلث يعملون لصالح منظمة (تودت)، والمشروعات الفرنسية الفرعية، في أجزاء مختلفة من الدولة، وفي أوربة المحتلة، وكان ثلث منهم يتألف من أسرى الحرب السابقين، الذين تحول وضعهم إلى وضع عمال مدنيين. ومنذ عام (1941-1943 م)، كان يخطب ود المتطوعين بين صفوف العرب في فرنسة، وفي شمالي إفريقية أيضـــًا، إلى حين نزول الحلفاء في تشرين الثاني عام (1942 م). وبإدخال حكومة فيشي «خدمة العمل الإلزامي» في شباط عام (1943 م)، بات يرغم الآن أيضـــًا المهادرون العرب من أجل العمل في فرنسة، على العمل من اجل ألمانيا. وكانت ظروف عملهم ومعيشتهم تتدهور بسرعة. وهناك أدلة على أن وضع العمال المدنيين الجزائريين والمغاربة الذين كان يجري تشغيلهم في شركة الصناعات الكيماوية فاربن، في آوشفتس-منفتس، بات يحاكي وضع المعتقلين في معسكرات الاعتقال هناك. وكانت أعداد الوفيات مرتفعة، ونتيجة العمل بالسخرة والاستغلال الذي كانت حدته تزداد، محاولات هرب تزدادا ازديادًا سريعـــًا، وانتهاكات ل«نظام العمل».

6) الملاحقة البوليسية والقانونية للعرب في الرايخ وفي أوربة المحتلة

كانت الملاحقة البولويسية والقانونية للعرب، في الرايخ وفي المناطق المحتلة، تزاد زيادة واضحة منذ عام (1943 م). وهذا ما تثبته، ضمن أمور أخرى، التدوينات، في سجلات البحث عن المطلوبين، وملفات النيابات العمومية،

وسجلات منافذ الدخول، وفي السجون والإصلاحيات. ففي الحالات التي بلغ عددها نحو (70) حالة، والتي حققتُ فيها حتى الآن، كان المهاجرون العرب من أجل العمل والعمال المدنيون، وكذلك أسرى الحرب، هم الملاحقون، على وجه الخصوص. وكان يوجد بين الملاحقين، الذين كانوا قد دخلوا الرايخ والنمسا قبل عام (1939 م)، خصوم ناشطون للنازية، كان قد حكم عليهم بمدد حبس طويلة، بسبب «الخيانة العظمى»، وزج بهم في معسكر للاعتقال تابع للقوات المسلحة. وزج بطالب عربي في معسكر اعتقال بسبب «المساعدة على الهرب من خدمة العلم» التي بذلها لرجل تابع للقوات المسلحة. وفي الغالب كان العمال المدنيون الملزمون، يدانون في الغالب بسبب «التعطل عن العمل»، و«رفض العمل»، و«ترك مكان العمل»، ولكن كانوا يدانون بسبب "السرقة" وتزوير بطاقات الخبز. وكان يجري تقويم الجنح والجرائم المرتكبة بدافع الجوع بأنها جرائم بحق اقتصاد الحرب، ويعاب عليها بالسجن، لا بالقتل. وفي بضع حالات زج ب«منتهكي حرمة بنود العمل» فيما يسمى معسكرات التربية على العمل أو معسكرات الأشغال الشاقة التابعة للغستابو. كان يزج ب«المجفلين من العمل» وب«مفسدي الشعب» في معسكرات الاعتقال، وكانت توجه اللائمة في السرقات أيضـــاً نحو 'أسرى الحرب'. ويضاف إلى ذلك «التمرد والعصيان» و«إلحاق الأذى بالجسد»، و«الاغتصاب»، أي: الأعمال التي تستوجب العقوبة، والتي تلقى التشجيع على وجه الخصوص من جراء وضعها المعزول. وكانت معدلات الوفيات بين معتقلي السجون من العرب عالية.

7) المعتقلون العرب في معسكرات الاعتقال النازية

كانت هذه الفئة من ابضحايا تتبوأ مركز الصدارة في أبحاثي[15]. وقد تمكنت حتى الآن من التوصل إلى أكثر من (450) معتقلاً مرتبين حسب الأسماء. وكان هؤلاء موجودين في كل معسكرات الاعتقال: في آوشفتس

(34)، وفي برغن-بلزن (21)، وفي بوخنفلد (149)، وفي دخاو (84)، وفي فلُسنبرغ (39)، وفي غروس-روزن (12)، وفي ماوتموزن (62)، وفي متلباو-دورا (39)، وفي نتسفايلر (37)، وفي نوينغَمّه مع المعسكر الخارجي أُرغني (110)، وفي رافنزبرك (25)، وفي ريغا-كايزَرفالد (1)، وفي زكسنهاوزن (42)، وفي شتُتهُف (3)، وفي فرصوفيا (2)، وفي ففلزبورغ (2)، وكذلك في معسكر هنتسرت الخاص ب(وحدات الدفاع)، وفي معسكر الاعتقال الاحترازي شيرمك-فربروك (7)، وكذلك في معسكر الإبادة، في لُبلين-مَيْدَنك (4)[12]. وكانت الأغلبية ترجع إلى شمالي إفريقية: من الجزائر (247 نفرًا)، والمغرب (27)، وتونس (22)، وكان آخرون من مصر (5)، والعراق (4)، ولبنان (1)، وفلسطين (4) وسورية (1)[13]. ولم يكن من الممكن تحديد أصول (140) معتقلاً بعدُ، وكان معظمهم مسلمين، وفي بوخنفلد وفلُسنبرغ ورافنزبرك، كان هناك نساء معتقلات أيضـــاً.

ولا تذكر المراجع إلا قليل من الإشارات إلى أسباب الزج بهؤلاء البشر في المعتقلات، ولكن يمكن تمييز خمسة أسباب على الأقل:

1) المشاركة في القتال ضد النازيين في حركة المقاومة الفرنسية، او مساندتها، كان كثيرًا من هؤلاء المعتقلين يعتقلون بموجب مرسوم (الاعتقال في الليل والضباب)، وتزودهم منظمة وحدات الدفاع (SS) بفئة التصنيف (NN)، على وجه الخصوص إلى معسكورات غروس-روزن وماوتماوزن ونتسفايلر وهنتسرت، حيث كانوا يظلون معزولين ويخضعون لمعاملة "خاصة".
2) أخذ الرهائن من المتعاطفين مع حركة المقاومة. وكان هؤلاء البشر يقبض عليهم، على وجه الخصوص منذ ربيع عام (1944 م) بموجب ما سيمي (أمر شبرله)، ويجاء بهم على الأغلب إلى نوينغَمّه، حيث كان مقدار الوفيات بين المعتقلين مرتفعـــا ارتفاعـــا خاصـــا.
3) المشاركة في الدفاع عن الجمهورية في الحرب الأهلية الإسبانية، كان معظم المعتقلين المزودين بعلامة التصنيف الدالة على «الإسبان الحمر»، يفضّل أن يأتوا إلى ماوتماوزن.

4) التبعية لليهودية: وبصرف النظر عم سموا يهود التبادل، من اليمن وليبيا، في برغن-بلزن[11] كان يوجد على وجه الخصوص، يهود كم الجزائر، بين المعتقلين العرب. وبالطبع فأنا لم أجد إلى القلائل نسبيـــا، الذين جاءوا من درانسي وحصلوا على فئة (SS) الدال على اليهود. ويظن أن بعضـــا منهم كان يُعد من المسلمين أو المسيحيين، أو ربما سُلِموا إلى جهة ما، الأمر الذي ربما كان يحميهم من مصير أكثر سوءا.
5) كانت الأغلبية الكبيرة من المعتقلين، من العمال المدنيين السالفين، ومن أسرى الحرب، من الرايخ ومن المناطق المحتلة، ولاسيما من فرنسة، وكان يزج بهم في المعسكرات، من «عمليات التمشيط» ومن «عمليات التطهير».

وكانت ظروف اعتقال العرب، التي لا تكاد تعرف تفاصيل عنها، يحتمل أن تكون مشابهة لظروف اعتقال آخرين، من غير اليهود، ومن غير البولونيين، ومن غير الروس. وهذا ما ينطبق أيضـــاً على معدلات وفياتهم التي بلغت نحو (20%).

ومن حين إلى آخر يطرح التساؤل عن الأسباب "العنصرية" لملاحقة النازيين العرب، ويجاب عنه بالنفي[12]. أما ما يتعلق بالزج في معسكرات الاعتقال، وفي منشآت الاعتقال الأخرى، فأنا لم أخرج في الواقع بالانطباع الذي يفيد أن انتمائهم ل«عرق من دم غريب في نوعه»ن كما كان هذا يقال بلغة النازيين، كان لها القول الفصل في هذا الصدد، وأنها كانت خليقة بأن تفضي إلى «معاملة خاصة»: وذلك أن معظم العرب كانوا قد وقعوا في أيدي النازيين بالطريقة ذاتها التي وقع فيها الملايين من البشر الآخرين، وتعرضوا لوطأة إرهابهم اليومي. وما من شك في أن هذا الإرهاب كان عنصريـــاً في بنيته وتركيبه، وهذا ما انتهى العرب أيضـــاً إلى الإحساس به. فقد كان المهاجرون العرب، كما ذكرنا، يهاجمون بسبب انتائهم إلى "عنصر آخر". وكان أبناء العرب يفترض أن يحال بينهم وبين عبور حدود الرايخ ويظلوا

خارجها، من حيث المبدأ، بحكم كونهم "ملونين"، كما يفترض الفصل بينهم وبين "البيض" في المعسكرات. وفي أثناء الملاحقة القانونية لمرتكبي المخالفات من العرب، أثبت "كونهم ملونين" أنه من الأسباب الباعثة لتشديد العقوبة. وكان أناس، من أمثال لوسي م، «مفسدة المجتمع» الذين يوسمون بأنهم من فئة «هجناء المغاربة» الواردة لدى منظمة (وحدات الدفاع)، يزج بهم في معسكر اعتقال رافنزبرُك، لأسباب عنصرية لا لُبس فيها.

سيرة الكاتب ومختارات من مؤلفاته

- ولد غرهرد هب في برلين في عام (1942 م).
- حصل على شهادة الثانوية العامة في عام (1960 م).
- عمل في مصنع الكابلات أبرشبريه.
- بدأ دراسته الجامعية في جامعة كارل ماركس بمدينة لايبتسغ حيث درس اللغة العربية والعلوم الإسلامية.
- كان من مؤسسي ما عرف باسم (المدرسة اللايبتسغية) في الدراسات "الاستشراقية".
- شارك مع مجموعة من كبار المستعربين الألمان في تأليف كتاب «تاريخ العرب» في ستة مجلدات.
- كتب رسالته الجامعية عن التحديث الإسلامي في كتابات خالد محمد خالد.
- بعد التخرج عمل في معهد الاستشراق في جامعة كارل ماركس في مدينة لايبتسغ.
- عمل محاضرًا في "اليمن الجنوبي"، ثم مترجمًا لوكالة الأنباء الألمانية "الشرقية" في العراق وسورية.

- انضم عام (1973 م) إلى (أكاديمية العلوم في الجمهورية الألمانية الديمقراطية) حيث أضحى من أشهر المستعربين.
- في عام (1986 م) كتب رسالة الأستذة عن حركة القوميين العرب.
- بعد هزيمة المعسكر الاشتراكي وانضمام بلاده إلى ألمانيا "الغربية" أسس مجموعة البحث (الشرق الحديث/ Moderner Orient).
- أصدر مجموعة كبيرة من الكتب عن العرب والعرب في ألمانيا، وعلاقة العرب/ عرب بألمانيا النازية.
- توفي في برلين يوم (2003/12/07 م) إثر مرض عضال.

مختارات من مؤلفات غرهرد هب

الكتب

2001*: *Mufti-Papiere. Briefe, Memoranden, Reden und Aufrufe Amīn al-Husainis aus dem Exil.* 1940-1945, Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 3879971803.

2001* (mit Norbert Mattes): *Berlin für Orientalisten. Ein Stadtführer.* Berlin: Das Arabische Buch (2001: Klaus Schwarz Verlag, 2., aktualisierte Aufl.), 3860933000.

2000* (mit Brigitte Reinwald): *Fremdeinsätze. Afrikaner und Asiaten in europäischen Kriegen, 1914-1945.* Berlin: Das Arabische Buch, 3860932721.

2000: *Texte aus der Fremde. Arabische politische Publizistik in Deutschland, 1896-1945. Eine Bibliographie.* Berlin: Das Arabische Buch, 3860932764.

1998* (mit Frank Gesemann, Haroun Sweis): *Araber in Berlin.* Berlin: Im Auftrag der Ausländerbeauftragten des Senats (2002: 2. Aufl.).

1998* (mit Henner Fürtig): *Wessen Geschichte? Muslimische Erfahrungen historischer Zäsuren im 20. Jahrhundert.* Berlin: Das Arabische Buch, 3879975817.

1997* (mit Thomas Scheffler): *Gegenseitige Wahrnehmungen - Orient und Okzident seit dem 18. Jahrhundert.* Themenband der Zeitschrift asien, afrika, lateinamerika.

1997: *Muslime in der Mark. Als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914-1924.* Berlin: Das Arabische Buch, 3860931512.

1996*: *Fremde Erfahrungen. Asiaten und Afrikaner in Deutschland, Österreich und in der Schweiz bis 1945.* Berlin: Das Arabische Buch, 3860931113.

1996* (mit Gerdien Jonker): *In fremder Erde. Zur Geschichte und Gegenwart der islamischen Bestattung in Deutschland.* Berlin: Das Arabische Buch, 3860931024.

1994: *Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg, 1915-1945. Geschichtlicher Abriß und Bibliographie.* Berlin: Das Arabische Buch, 386093046X.

1986: *Vom Nationalismus zum Sozialismus. Zur Geschichte und Ideologie der "Bewegung der Arabischen Nationalisten" (BAN) und ihrer Nachfolgeorganisationen, 1948-1975.* (Habilitation), Berlin.

1984: *Algerien: Befreiungskrieg 1954-1962.* Berlin: Deutscher Verlag der Wissenschaften.

1982*: (mit Martin Robbe u.a.): *Geistige Profile Asiens und Afrikas*. Berlin: Akademie-Verlag.
1972: *Zur Rolle und Funktion kleinbürgerlicher Kräfte in den geistigen Auseinadersetzungen in den arabischen Ländern. Ein Beitrag zur Untersuchung des ideologischen Klassenkampfes in der nationalen Befreiungsbewegung der arabischen Völker.* (Dissertation), Leipzig.

مقالات في أعمال مشتركة

2004: *Arab Inmates in German Concentration Camps until the End of World War II*. In: Wolfgang G. Schwanitz (ed.): Germany and the Middle East, 1871-1945. Princeton NJ.
2002: *Zwischen Universität und Strasse. Ägyptische Studenten in Deutschland 1849-1945*. In: Konrad Schliephake, Ghazi Shanneik (Hg.): Die Beziehungen zwischen der Bundesrepublik Deutschland und der Republik Ägypten. Würzburg, S. 31-42.
2002: *Mohammed Essad Bey oder Die Welten des Lev Abramovic Nussenbaum*. In: Essad Bey: "Allah ist gross". Niedergang und Aufstieg der islamischen Welt. München, S. 385-414.
2001: *Biographien zwischen den Kulturen: Asis Domet und Mohammed Essad*. In: Henner Fürtig (Hg.): Islamische Welt und Globalisierung. Würzburg, S. 149-157.
2000: *Orientalist mit Konsequenz: Georg Kampffmeyer und die Muslime*. In: Rainer Flasche, Fritz Heinrich, Carsten Koch (Hg.): Religionswissenschaft in Konsequenz. Beiträge im Anschluß an Impulse von Kurt Rudolph. Hamburg, S. 37-47.
2000: *Frontenwechsel: Muslimische Deserteure im Ersten und Zweiten Weltkrieg und in der Zwischenkriegszeit*. In: Gerhard Höpp, Brigitte Reinwald (Hrsg.): Fremdeinsätze. Afrikaner und Asiaten in europäischen Kriegen, 1914-1945. Berlin, S. 129-141.
1999: *Der Gefangene im Dreieck: Zum Bild Amin al-Husseinis in Wissenschaft und Publizistik seit 1941*. In: Rainer Zimmer-Winkel (Hg.): Eine umstrittene Figur: Hadj Amin al-Husseini - Mufti von Jerusalem. Trier, S. 5-23.
1998: *Feindbild "Westen". Zur Rolle historischer Zäsuren beim Wandel muslimischer Europabilder seit dem 19. Jahrhundert*. In: Henner Fürtig, Gerhard Höpp (Hg.): Wessen Geschichte? Muslimische Erfahrungen historischer Zäsuren im 20. Jahrhundert. Berlin, S. 11-26.
1998: *Zwischen allen Fronten. Der ägyptische Nationalist Mansūr Mustafā Rif'at (1883-1926) in Deutschland*. In: Wajīh 'Abd as-Sādiq 'Atīq, Wolfgang G. Schwanitz (eds.): Misr wa Almānīyā fī al-qarnain al-tāsi' 'ashar wa al-'ishrīn fī dau' al-wathā'iq [Egypt and Germany in the 19th and 20th century as reflected in archives]. Kairo, S. 53-64, 263-273.
1998: (mit Kai Hafez) *Gegenwartsbezogene Orientwissenschaft in der DDR und in den neuen Bundesländern: Kontinuität oder Neubeginn?* In: Wolf-Hagen Krauth, Ralf Wolz (Hg.): Wissenschaft und Wiedervereinigung. Berlin, S. 95-163.
1996: *Die Privilegien der Verlierer. Über Status und Schicksal muslimischer Kriegsgefangener und Deserteure in Deutschland während des Ersten Weltkrieges und der Zwischenweltkriegszeit*. In: Gerhard Höpp (Hg.): Fremde Erfahrungen. Berlin, S. 185-210.
1995: *Ruhmloses Zwischenspiel. Fawzī al-Qawuqjī in Deutschland, 1941-1947*. In: Peter Heine (Hg.): Al Rafidayn. Jahrbuch zu Geschichte und Kultur des modernen Iraq. Bd 3, Würzburg, S. 19-46 (auch in: *al-Quds*, London, 11.8.1999, 12.8.1999).
1994: *Ein Bild vom anderen: Berlin in arabischen Reisebeschreibungen des 19. Jahrhunderts*. In: Cornelia Wunsch (Hg.): XXV. Deutscher Orientalistentag. Stuttgart, S. 167-173.
1994: *Lexikon arabische Welt*. Hg. Günter Barthel, Kristina Stock. Wiesbaden

1994: *Araber im Zweiten Weltkrieg - Kollaboration oder Patriotismus?* In: Wolfgang Schwanitz (Hg.): Jenseits der Legenden: Araber, Juden, Deutsche. Berlin, S. 86-92.
1994: *Der Koran als "Geheime Reichssache". Bruchstücke deutscher Islampolitik zwischen 1938 und 1945.* In: Holger Preißler, Hubert Seiwert (Hg.): Gnosisforschung und Religionsgeschichte. Festschrift für Kurt Rudolph zum 65. Geburtstag, Marburg, S. 435-446.
1994: *Muhammad Kāmil 'Ayyād fī Berlin (1921-1929). Suwar min nishat at-tullāb al-'arab fī 'asimat Almānīya.* [Muhammad Kāmil 'Ayyād in Berlin (1921-1929). Pictures of the Arab Student Council in the German Capital]. In: Muhammad Kāmil al-Khātib (Hg.): *Kāmil 'Ayyād. Maqālāt mukhtāra.* Damaskus, Bd . 1, S. 29-45 [auch in: *Beiträge zur Geschichte der Arbeiterbewegung*, 38(1996)2, S.89-95].
1991: *Traditionen der ägyptischen Revolution: Ägyptische Nationalisten in Deutschland, 1920-1925.* In: Schwanitz, Wolfgang (Hg.): Berlin-Kairo: Damals und heute. Berlin, S. 72-84.
1989: *Arabische Aufklärung, islamische Reform und kapitalistische Ethik. Zur Herausbildung bürgerlichen Klassenbewußtseins in arabischen Ländern.* In: Martin Robbe (Hg.): Wege zur Unabhängigkeit. Berlin, S. 223-234.
1989: *Underdevelopment and Islam. The Problem of Adaption of Heritage in Arab Countries under Colonial Conditions. In: Günter Barthel, Gerhard Hoffmann (eds.): Arab Heritage and Traditions.* Berlin, S. 68-78.
1989: *Nasser as a historic Personality.* In: Martin Robbe, Jürgen Hösel (eds.): Egypt: The Revolution of July 1952 and Gamal Abdel Nasser. Berlin, S. 68-78.
1986: *Anfänge sozialistischen Denkens im Irak. Der revolutionär-demokratische Zirkel Husain ar-Rahhāls, 1920-1927.* In: Jahrbuch für Geschichte, Berlin, 33, S. 133-161.
1982: *Das Verständnis von Klassen und Klassenkampf als Gegenstand und Moment ideologischer Auseiandersetzungen in arabischen Ländern.* In: Martin Robbe u.a. (Hg.): Geistige Profile Asiens und Afrikas. Berlin, S. 155-190.
1978 (mit Wolfgang Semmler): *Charisma or historical Greatness? On the Role of Leaders in Afro-Arab Countries.* In: Klaus Ernst, Jürgen Kunze (eds.): Social Classes and antiimperialist Struggle in Africa and the Middle East. Berlin, S. 152-157.
1974: *Die neue Qualität des ideologischen Kampfes unter den Bedingungen des nichtkapitalistischen Entwicklungsweges.* In: Lothar Rathmann (Ltg.): Grundfragen des antiimperialistischen Kampfes der Völker Asiens, Afrikas und Lateinamerikas in der Gegenwart. Berlin, Bd. I, S. 705-736.
1974: *Bemerkungen zur Periodisierung der Geschichte des sozialistischen Denkens in den arabischen Ländern bis zur Mitte der 30er Jahre des 20. Jahrhunderts (Thesen).* In: Lothar Rathmann (Hg.): Asien in Vergangenheit und Gegenwart. Berlin, S. 25-38.
1972: *Bemerkungen zum Einfluß des Marxismus-Leninismus auf die ideologische Konzeption revolutionärer Demokraten in sozialistisch orientierten arabischen Ländern unter besonderer Berücksichtigung ihres revolutionstheoretischen Aspekts.* In: Nichtkapitalistischer Entwicklungsweg: Aktuelle Probleme in Theorie und Praxis. Berlin, S. 251-268.
1971: *Über Charakter und Funktion des "islamischen Sozialismus" in der gegenwärtigen Etappe der Befreiungsrevolution der arabischen Völker.* In: Revolution und Tradition. Leipzig, S. 87-99.
1970: *Über das Verhältnis von Islam und wissenschaftlicher Weltanschauung im arabischen Raum.* In: Horst Krüger (Hg.): Nationalismus und Sozialismus im Befreiungskampf der Völker Asiens und Afrikas. Berlin, S. 100-107.



"Salud wa Salam. Araber im Spanischen Bürgerkrieg 1936-1938." In: *INAMO*, 9(2003)33, S. 53-55.

"Gefährdungen der Erinnerung': Arabische Häftlinge in nationalsozialistischen Konzentrationslagern." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 30(2002)5, S. 373-386.
"Im Schatten des Mondes. Arabische Opfer des deutschen Faschismus." In: *Junge Welt*, 21./22.12.2002, S. 10-11
"...den Fragen der Raiffeisenorganisation zugewandt...". Der tunesische Gewerkschaftsführer Muhammad Ali al-Hammi und sein Aufenthalt, in Berlin 1919-1924. In: *Beiträge zur Geschichte der Arbeiterbewegung*, 43(2001)3, S. 87-98.
"Wer schrieb 'Ali und Nino'? Zur Archäologie einer Legende." In: *Zenith*, (2001)2, S. 59-61.
"Islam und Islamismus in Geschichte und Gegenwart der palästinensischen. Nationalbewegung." In: *Junge Welt*, 12., 13.06.2001, (Nachdruck aus: *Marxistische Blätter*).
"Gewaltsame Begegnungen. Muslime als Kombattanten, Gefangene und Überläufer in Deutschland - eine. andere Seite des deutsch-türkischen Waffenbündnisses im Ersten Weltkrieg." In: *Der Islam*, 77(2000), S. 307-318.
"'Nicht 'Alī zuliebe, sondern aus Haß gegen Mū'awīya'. Zum Ringen um die 'Arabien-Erklärung' der Achsenmächte 1940-1942." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 27(1999)6, S. 569-587.
"'Ein Komma zwischen den Kulturen'. Der Dichter Asis Domet." In: *Das Jüdische Echo*, Wien, 48(1999), S. 156-160.
"Muslim Periodicals as Information Sources about Islamic Life in Germany, 1915-1945." In: *Symposium Research Papers*, Riyad 1999, 26 S.
"Die Schuldigkeit der Mohren. Muslimische Deserteure im Deutschland der Zwischenkriegszeit, 1919-1926." In: *Etudes Germano-Africaines*, Dakar, (1997/98)15-16, S. 192-202.
"1942: Heimliche Briefe. Arabische Nationalisten und die faschistische Achse." In: *INAMO*, 3(1997)9, S. 41-42
"Mohammed Essad Bey: Orient nur für Europäer?" In: *asien, afrika, lateinamerika*, 25(1997)1, S. 75-97.
"Die Wünsdorfer Moschee. Eine Episode islamischen Lebens in Deutschland, 1915-1930." In: *Die Welt des Islams*, 36(1996)2, S. 204-218 [auch in: *Gasyrlar avazy. Echo vekov*, Kasan (1997)1-2, S. 178-187].
"Dschihad um Palästina? Zur historischen und aktuellen Rolle des Islam in der palästinensischen Nationalbewegung." In: *Utopie kreativ*, (1995)52, S. 12-22.
"Muslime unterm Hakenkreuz. Zur Entstehungsgeschichte des Islamischen Zentralinstituts zu Berlin e.V." In: *Moslemische Revue*, 14(1994)1, S. 16-27
"Zehrensdorf – ein islamischer Friedhof?" In: *Moslemische Revue*, 13(1993)4, S. 215-226.
"Verdient der Islam Dissidenten? Anmerkungen zu Sādiq al-'Azm, zur säkularisierten Moderne und zum islamischen Fundamentalismus." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 22(1994)6, S. 637-651.
"Zwischen Entente und Mittelmächten. Arabische Nationalisten und Panislamisten in Deutschland (1914 bis 1918)." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 19(1991)5, 827-845.
"Unterentwicklung und Islam. Zum Problem der Erberezeption in arabischen Ländern unter den Bedingungen es Kolonialismus." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 16(1988)3, S. 440-452.
(mit Martin Grzeskowiak) "'Reislamisierung': Schreckgespenst oder Herausforderung? Bemerkungen zur Darstellung und Wertung eines aktuellen Prozesses durch die Islamwissenschaft der BRD und Westberlins." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 12(1984)3, S. 477-490.
"Zur Entwicklung der strategisch-taktischen Konzeption der 'Bewegung der Arabischen Nationalisten' und ihrer palästinensischen Nachfolgeorganisationen (1948-1980)." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 10(1982)3, S. 446-460.
"Der Islam und seine unvollendete 'Reformation'. Zum Verhältnis von abhängigen Kapitalismus und blockierter Reform in arabischen Ländern." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 9(1981)6, S. 1041-1052.

"Der Islam in der zeitgenössischen Diskussion linker arabischer Intellektueller." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 9(1981)4, S. 945-957.
"Bemerkungen zum Bündnisbegriff nichtproletarischer Führungskräfte in einigen sozialistisch orientierten arabischen Ländern." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 7(1979)6, S. 1081-1084.
"Kuweits Werktätige gegen die Folgen der Inflation." In: *Neues Deutschland*, 13.08.1974.
"Zu den Anfängen sozialistischen Denkens in arabischen Ländern (bis 1919)." In: *asien, afrika, lateinamerika*, 1(1973)2, S. 53-70.
"Einige Aspekte des ideologischen Kampfes in der gegenwärtigen Etappe der arabischen Befreiungsbewegung." In: *Mitteilungen des Instituts für Orientforschung*, 16(1970)2, S. 215-250.

الهوامش

1] ذاكرة في خطر: المعتقلون العرب في معسكرات الإبادة النازية

* Gerhard Höpp, Gefährdung der Erinnerung: Arabische Häftlinge in nationalsozialistischen Konzentrationslager.

1 Politisches Archiv des Auswärtigen Amtes, Berlin (PArchAAB), R 100702. Der Besuch wird vermutlich zum ersten Mal erwähnt bei David Yisraeli, Ha-Reich Ha-germani we-eres Yisra'el, Ramat Gan 1974, S.278. Siehe auch Israel Gutmau (Hg.), Enzyklopädie des Holocaust. Bd. 2, Berlin 1993, 5.631; Elliott A. Green, Arabs and Nazis - Can It Be True? In: Midstream 40(1994)7, S.11; Rafael Medoff, The Mufti's Nazi Years Re-examined. In: The Journal of Israeli History 17(1996)3, S.332.

2 ينقل مدُف هنا أيضـــا الخبر عن شهود عيان، قائلا «إن وفدًا عربيـــا زار لوراهتّه (Laurahütte) عام (1944 م)، حيث معسكر آوشفتس لعمال السخرة، وتفقده».

3 Vgl. Maurice Pearlman, Mufti of Jerusalem. The Story of Haj Amin El Husseini, London 1947, S.73. Siehe auch Joseph B. Schechtman, The Mufti and the Fuehrer. The Rise and Fall of Haj Amin el-Husseini, New York-London 1965, S.160, und Derek Hopwood, Amin alHusayni. In: The Encyclopaedia of Islam. New Edition, Supplement 1-2, Leiden 1980, S.69, die allerdings die Affidavits von Imre Steiner und Rudolf Kasztner unstatthaft miteinander vermengen und den Eindruck erwecken, als handele es sich um eine einzige Aussage.

4 Vgl. Simon Wiesenthai, Großmulti - Großagent der Achse, Salzburg-Wien 1947, S.37 und 45. Siehe auch Quentin Reynolds/Ephraim Katz/Zwy Aldouby, Minister of Death. The Adolf Eichmann Story, London 1961, S.174; Siegfried Einstein, Eichmann. Chefbuchhalter des Todes,

Frankfurt/M. 1962, S.166; Klaus von Munchausen, Der Traum vom großen Arabien. In: Die Zeit, 7.September 1990, S.45
5 Vgl. Reynolds/Katz/Eldouby, a.a.O. Siehe auch Einstein, a.a.O.
6 Vgl. Hannes Stein, Die DDR, das Dritte Reich und Israel. In: Die politische Meinung 44(1999)357, S.82
7 Zum Kasztner-Affidavit vgl. Nicholas Bethell, The Palestinian Triangle. The Struggle Between the British, the Jews and the Arabs 1935-48, London 1979, S.225
8 Hierzu gehören die abwegigen Beschuldigungen, al-Husaini hätte die islamischen Völker auf der Wannsee-Konferenz im Januar 1942 vertreten (vgl. Marzio Pisani, "Resistenza" e "collaborazionismo" nella seconda guerra mondiale. Islam. In: L'Uomo liberî 4(1983)16, S.68) sowie "Hitlers Konzeption der Gaskammern mit beeinflußt". Vgl. Martin Ros, Schakale des Dritten Reiches. Untergang der Kollaborateure 1944-1945, Stuttgart 1997, S.329.
9 Vgl. Gerhard Höpp, Der Gefangene im Dreieck. Zum Bild Amin al-Husseinis in Wissenschaft und Publizistik seit 1941. Ein bio-bibliographischer Abriß. In: Rainer ZimmerWinkel (Hg.), Eine umstrittene Figur: Hadj Amin al-Husseini, Trier 1999, S.523; Gerhard Hopp (Hg.), Mufti-Papiere. Briefe, Memoranden, Reden und Aufrufe Amîn al-¼usainîs aus dem Exil, 1940-1945, Berlin 2001, S.9ff.
10 Hermann L. Gremliza, "Ein skandalöser Text". In: Israel, die Palästinenser und die deutsche Linke, Wuppertal 2002, S.58.

* كلمة الرايخ (Reich) تعني: إمبراطورية [ز م].

11 (Bundesarchiv, Berlin (BArchG), Reichsführer SS, Film 2922, B1.699524). تشير اللائحة المعدّلة بما يتلاءم مع الواقع الراهن، في تشرين الثاني (1944 م)، على وجه الإجمال، إلى إبعاد (1151) من المعتقلين المسلمين (Ebenda, NS 31/59, B1.19). وفي الواقع كان يوجد في معسكرات الاعتقال، من المسلمين، ما هو أكثر من ذلك بما لا يقبل المقارنة، وكانوا يأتون على وجه الخصوص من الجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفييتي، ومن ألبانيا ويوغسلافيا.

12 هذه المعلومات والتي تليها ترتكز، في معظمها على المراجع التي أتيح لي الوصول إليها في الواقع التذكارية لمعسكرات الاعتقال في آوشفتس، وبرغن-بلزن وبوخنفلد ودخاو وفلُسنبرغ وغروس-روزن، وماوتهوزن ومتلباو-دورا، ونوينغمه ورافنزبرُك وزكسنهاوزن وشتُهُف. وكذلك في (أرشيف برلين الاتحادي/ Bundesarchiv Berlin). وأتقدّم بالشكر الصريح في هذا المقام إلى المتعاونات وإلى المتعاونين مع هذه المؤسسات وكذلك إلى المعتقل السالف في معسكر تسفايلر ومعسكر دخاو، إرنست جيلين (هُفالد/ لُكسمبورغ) (Ernest Gillen (Howald/Luxemburg)) لمساندتهم الطوعية القيمة، لي في أبحاثي.

13 لم يتسنَّ، حتى الآن، تقرير الأصل (القومي) لمائة وأربعين معتقلاً عربيـاً آخر، أما الاختلاف بين العدد المطلق للمعتقلين ومجموعة المعتقلين في كل معسكر اعتقال على حدة، فيرجع، من أجل ذلك، إلى أن كثيرًا من المعتقلين وُجدوا في عدد من المعسكرات.

14 ويدخل في عدادهم من يُسمون (يهود بنغازي) في معسكر اعتقال برغن-بلزن. vgl. Rachel Simon, It Could Have Happened There: The Jews of Libya)

during the Second World War. In: Africans Journal 16(1994) , S.391-422. Siehe auch die von der Autorin nicht benutzten Akten in: PArchAAB, R .(41507, 41508 und 412583

15 Über "Muslime im KZ" schreibt sehr kurz und oberflächlich Bernd Bauknecht, Muslime in Deutschland von 1920 bis 1945, Köln 2001, S.136ff.; zu afrikanischen Opfern vgl. die ebenfalls ergänzungsbedürftigen Studien von Robert W.Kesting, Forgotten Victims: Blacks in the Holocaust. In: The Journal of Negro History 77(1992), S.30-36, und Maguéye Kassé, Afrikaner im nationalsozialistischen Deutschland. In: Utopie kreativ (2000)115-116, 5.501507. Siehe auch ma R. Friedman, The Other Victims: First-Person Stories of Non-Jews Persecuted by the Nazis, Boston u.a. 1990, S.91ff.

16 Vgl. G.-L.Fréjafon, Bergen-Belsen bagne sanatorium, Paris 1947, S.73f.; Aimé Bonifas, Häftling 20801, Berlin 1968, S.40f.; Jean Degroote, Prisons de la Gestapo et camps de concentration, Steenvorde 1995, S.23; Jean-Louis Vigla, Evadés d'Aurigny. Hiver 1942-1943, Cherbourg 1995, S. 187f.; Un pas, encore un pas... pour survivre (Kommando Buchenwald), Amiens 1996, S.220. Häftlinge des KZ Sachsenhausen erinnerten sich an "Neger, Araber" als Mitgefangene. Vgl. Brandenburgisches Landeshauptarchiv, Potsdam (BrLHArchP), Pr.Br.Rep.35 H KZ Sachsenhausen, Nr.8/1, B1.426

17 Vgl. Alois Hotschnig, Ludwigs Zimmer, Köln 2000, S.138, der "Algerier" im KZ Mauthausen erwähnt.

18 Johann Neuhäusler, Wie war das in Dachau? München 1961, S.24, erwähnt "Araber", Olga Wormser-Migot, Le système concentrationnaire nazi (1933-1945), Paris 1968, S.431, "Algerier", Hans Maršálek, Die Geschichte des Konzentrationslagers Mauthausen, Wien 1974, S.119, "Araber und Ägypter", und Bärbel Schindler-Saefkow, Ein Gedenkbuch für die Opfer von Ravensbrück. In: Werner Rohr/Brigitte Berlekamp (Hg.), Tod oder Überleben? Neue Forschungen zur Geschichte des Konzentrationslagers Ravensbrück, Berlin 2001, 5.186, Häftlinge aus "Ägypten" und "Marokko".

19 Eine Gedenkplatte auf dem ehemaligen Appellplatz des KZ Buchenwald erinnert u.a. an "Algerier", "Ägypter" und "Marokkaner". Vgl. Gedenkstätten für die Opfer des Nationalsozialismus, Bonn 1999, S.898; auf dem ehemaligen Appellplatz des KZ Mittelbau-Dora verweist eine Inschrift auch auf Häftlinge aus "Arabischen Staaten". Vgl. ebenda, S. 865.

20 يرد في (Friedman, a.a.O., S.1): «بعد خمسين عامـــا من المحرقة يظن كثير من البشر، أن اليهود وحدهم كانوا ضحايا النازية، وليس هذا بالحق. فبينما قتل ستة ملايين من اليهود في المحرقة، قتل أيضـــا خمسة ملايين من المسيحيين على أيدي النازيين، عن قصد وتدبير وتصميم»، ويبدو أن المسلمين لا وجود لهم داخل أفق تفكير الكاتبة.

21 Vgl. Jan Assmann, Die Katastrophe des Vergessens. Das Deuteronium als Paradigma kultureller Mnemotechnik. In: Aleida Assmann/ Dietrich Harth (Hg.), Mnemosyne. Formen und Funktionen der kulturellen Erinnerung, Frankfurt/M. 1991, S.344ff.

22 قرر مرسوم رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة، فيلهلم كايتل، الصادر في (01/12/ 1941 م)، أن الأفراد الذين يقترفون الجنح والجرائم ضد الدولة، أو ضد قوات الاحتلال، يتوجب، رد أعمالهم، أن يتم ترحيلهم «في جنح الليل، والضباب» إلى الرايخ.

23 حظر المرسوم الصادر في (1944/02/03 م) عن القائد الأعلى للقطاع الغربي، هوغو شبرله، من أجل المكافحة التي لا هوادة فيها «لرجال العصابات» الفرنسيين، العمليات الانتقامية ضد السكان المدنيين.

24 Vgl. Michel Fabréguet, Les "Espagnols rouges" à Mauthausen (1940-1945). In: Guerres mondiales et conflits contemporains 41(1991)162, S.77-98.

25 Zu dieser Einrichtung vgl. Gabriele Lotfi, KZ der Gestapo. Arbeitserziehungslager im Dritten Reich, Stuttgart-München 2000.

26 Vgl. Wolfgang Ayaß, "Asoziale" im Nationalsozialismus, Stuttgart 1995

27 أتقدم بالشكر إلى (محفوظات الدولة النمساوية في فيينا/ Österreichischen Staatsarchiv in Wien)، وإلى (محفوظات ولاية سكسونيا في لايبتسغ/ Sächsischen Staatsarchiv in Leipzig)، وإلى محفوظات إقليم ثرنغيا في ماينغن ورودولشتدت (Thüringischen Staatsarchiven in Meiningen und Rudolstadt)، وإلى (أرشيف ولاية برلين/ Landesarchiv Berlin)، وإلى (الأرشيف الرئيس في ولاية براندنبورغ، بوتسدام/ Brandenburgischen Landeshauptarchiv Potsdam)، للمساندة السخية في أبحاثي في الملفات المتعلقة بالأشخاص في معسكر إعادة التربية في أبرلنتسندُرف (AEL Oberlanzendorf)، والمنشآت الخاصة بالعقوبات في برلين-بلتسريه Strafanstalten Berlin-) (Strafanstalten Berlin-Plötzensee)، وفي برلين شبنداو (Plötzensee وفي برلين تغل (Berlin-Tegel)، وفي براندنبورغ (Brandenburg)، وإشترزهاوزن (Ichtershausen) ولايبتسغ (Leipzig) وأنترماسفلد (Untermaßfeld).

28 Vgl. Wolfgang Sofsky, Die Ordnung des Terrors: Das Konzentrationslager, Frankfurt/M. 1999, S.138ff.

29 (Vgl. Antisemitismus oder Antijudaismus? In: Weltkampf (1944)3, S.168. Der bereits erwähnte Grobba teilt in einer nach dem Krieg verfaßten Denkschrift mit, daß die Erklärung mit Alfred Rosenberg abgestimmt und über den Rundfunk verbreitet worden wäre. Vgl. National Archives, Washington, Foreign Military Manuscripts, P-207, German Exploitation of Arab Nationalists' Movements, Bl. 17 (Hinweis von Wolfgang Schwanitz)..

منذ صيف (1936 م)، وبعد أن أثارت القوانين العنصرية في نورمبرغ القلاقل في الشرق الأدنى أيضـــا، ناقش السياســون النازيون من وزارة الخارجية (Pilger) ومن وزارة الداخلية (غلوبكه، شتوكارت/ Globke, Stuckart) ومن دائرة السياسة العنصرية في حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني 'النازي' (غروس)، ومن وزارة العدل ووزارة الدعاية، الترتيب العنصري لأمم من بينها المصريون، وعَدُّهم المجتمعون من يدخلون في عداد «ذوي الدم الغريب في نوعه»، غير أنهم اتفقوا أيضــا، بالنظر إلى الألعاب الأولمبية الوشيكة في برلين، على أن الوقت لم يحن بعد من أجل إعلان رسمي (لهذا الترتيب، غ هـــ) للخارج (Vgl. PArchAAB, R 99173 und R 99174.).

- الأنغال جمع النغل، وهو ولد الزنا (م ج).

30 Vgl. dazu Wolfgang Abel, Bastarde am Rhein. In: Neues Volk 2(1934)2, S.4ff.; dens., Über Europäer-Marokkaner- und Europäer-Annamiten-

Kreuzungen. In: Zeitschrift für Morphologie und Anthropologie 36(1937), S.311ff. sowie Reiner Pommerin, "Sterilisierung der Rheinlandbastarde". Das Schicksal einer farbigen deutschen Minderheit 1918-1937, Düsseldorf 1979.

31 Vgl. Susann Samples, African Germans in the Third Reich. In: Carol Aisha Blackshire Belay (Hg.), The African-German Experience. Critical Essays, Westport 1996, S.53-69; Marianne Bechhaus-Gerst, Afrikaner in Deutschland 1933-1945. In: 1999. Zeitschrift für Sozialgeschichte des 20. und 21 .Jahrhunderts 12 (1997), S.10-31

32 Vgl. Thomas Rahe, Die Bedeutung von Religion und Religiosität in den nationalsozialistischen Konzentrationslagern. In: Ulrich Herbert/Karin Orth/Christoph Dieckmann (Hg.), Die nationalsozialistischen Konzentrationslager - Entwicklung und Struktur. Bd. 2, Göttingen 1998, S.1006-1022; dens., "Höre Israel". Jüdische Religiosität in nationalsozialistischen Konzentrationslagern, Göttingen 1999.

33 Zu den beiden Geistlichen vgl. Eugen Weiler (Hg.), Die Geistlichen in Dachau sowie in anderen Konzentrationslagern und in Gefängnissen, Mödling 1971, S.139 und 626.

34 Vgl .Maršálek, a.a.O., S.21

35 Vgl. Sofsky, a.a.O., S.147f.

36 Vgl. ebenda, S.57

37 شك كُزِلْك (Koselleck) في معنى إقامة نصب تذكاري خاص لكل فئة من فئات الضحايا على حدة، واحتجّ بأنه لا يليق تذكير الناس بالضحايا حسب الفئات التصنيفية التي كانت تعمل بموجبها منظمة (وحدات الدفاع/ SS) بل يجب التذكير بهم على أساس الحقائق الواقعة التي أنشأها المذنبون، «أي أن (الضحايا) قُتلوا»، في .(Deutsche Zeitschrift für Philosophie 47(1999), S.222)

38 Vgl. ebenda, S.215.

39 Vgl. Le grand livre de témoins, Paris 1994

40 Vgl. Nicole Lapierre, Dialectique de la mémoire et de l'oublie. In: Communications (1989)49, S.5ff.

41 Vgl. Aleida Assmann, Gedächtnis ohne Erinnerung? Die Probleme der Deutschen mit ihrer Geschichte. In: GedenkstättenRundbrief 10(2000)97, S.12.

42 Vgl. Michael Pollak, Die Grenzen des Sagbaren. Lebensgeschichten von KZ-Überlebenden als Augenzeugenberichte und als Identitätsarbeit, Frankfurt/M.-New York 1988, S.163ff.; Ulrike Jureit/ Karin Orth, Überlebensgeschichten. Gespräche mit Überlebenden des KZ Neuengamme mit einem Beitrag von Detlef Garbe, Hamburg 1994, S.164ff.; Ulrike Jureit, Erinnerungsmuster. Zur Methodik lebensgeschichtlicher Interviews mit Überlebenden der Konzentrations- und Vernichtungslager, Hamburg 1999, S.116ff.

43 Aleida Assmann, Three Memory Anchors. Affect, Symbol, Trauma. In: Angelika Neuwirth/Andreas Pflitsch (Hg.), Crisis and Memory in Islamic Societies, Würzburg 2001, S.55.

44 Vgl. Angelika Neuwirth/Andreas Pflitsch, Crisis and Memory. Dimensions of Their Relationship. Ebenda, S.25.

45 Vgl. Sheila Hannah Katz, *Adam* and *Adama*, *'Ird* and *Ard:* En-Gendering Political Conflict and Identity in Early Jewish and Palestinian Nationalismв. In: Deniz Kandiyoti (Hg.), Gendering the Middle East. Emerging Perspectives, London-New York 1996, S.88 46 Vgl. Benjamin Stora, Le dictionnaire des livres de la guerre d'Algérie, Paris 1996.

47 Vgl. Michael M.Laskier, North African Jewry in the Twentieth Century. The Jews of Morocco, Tunisia, and Algeria, New York-London 1994, S.55ff.

48 Vgl. Tom Segev, "Der Holocaust gehört in seinen historischen Kontext". In: Universitas 51(1996), S.90
49 Vgl. Peter Reichel, Politik mit der Erinnerung, München 1995; Peter Steinbach, Die Vergegenwärtigung von Vergangenem. Zum Spannungsverhältnis zwischen individueller Erinnerung und öffentlichem Gedenken. In: Aus Politik und Zeitgeschichte (1997) B 3-4, S.7; Michael Wolffsohn, Von der äußerlichen zur verinnerlichten "Vergangenheitsbewältigung". Gedanken und Fakten zu Erinnerungen. Ebenda, S. 17.
50 Vgl. Koselleck, a.a.O., S.215
51 Aleida Assmann, Gedächtnis ohne Erinnerung? A.a.O., S. 11 und 7.
52 Einen guten Überblick über die Diskussion gibt Rainer Zimmer-Winkel (ed.), Die Araber und die Shoa. Über die Schwierigkeiten dieser Konjunktion, Trier 2000. Siehe auch Joseph Nevo, The Attitude of Arab Palestinian Historiography Toward the Germans and the Holocaust. In: Remembering the Future. Working Papers and Addenda. Bd.2, Oxford u.a. 1989, S.2241-2250.
53 ينبغي ذكر من تعاونوا، بصفة سياسيين وعسكريين ورجال دعاية، مع النازيين، وهم: أمين الحسيني، رشيد عالي الكيلاني، يونس البحري، يوسف الرّويسي، مصطفى بشير، كامل مروة، كمال الدين الآل، منير الريّس، محمود حسني العرابي، فوزي القاوقجي، إبراهيم الراوي، صلاح الدين الصباغ، كمال عجمان حداد، ناجي أوقات، محمد عزت دروزة، فاضل أرسلان، نبيه وعادل العامة، أنطون سعادة، عبد الخالق طُريز، محمد حسن الوزّاني، محمد المكي النعيري، عبد الهادي بوغالب، والذين تعاونوا مع النازيين بصفتهم سياسيين وعسكريين ورجال دعاية.
54 Vgl. Jocelyne Dakhlia, New Approaches in the History of Memory? A French Model. In: Neuwirth/Pflitsch, a.a.O., S.67
55 Vgl. Joseph Massad, Palestinians and Jewish History: Recognition or Submission? In: Journal of Palestine Studies 30(2000), S.61; siehe auch http://www.yadvashem.org.il//download/education/conf/Abramski.pdf.
56 Bisher dazu nur bekannt Margret Ginns, French North African Prisoners of War in Jersey. In: Channel Islands Occupation Review (1985), S.50-70.
57 Dazu bisher nur Abdellatif Bensalem, Los voluntarios arabes en las brigadas internacionales (Espana, 1936-1939). In: Revista Internacional de Sociologia 46(1988), S.534-573.

2] الخطاب المكبوت: ضحايا النازية من العرب

* Gerhard Höpp, Der Verdrängte Diskurs: Arabische Opfer des Nationalsozialismus.

1 لم يتمكّن غرهرد هُب، بالنظر إلى الاعتلال الشديد في صحته، من إعادة النظر في هذه المقالة إلا بصورة جزئية، وقد نظرت السيدة تركان يلماظ في النص الذي بين أيدينا واستكمله.
ويمكن قراءة النص الأصلي الذي زودني به المؤلف الصديق الراحل، في ملحق هذا الكتاب، والذي كتبه تحت عنوان «في ظل القمر: ضحايا النازية من العرب/ *Im Schatten des Mondes: Arabische Opfer des Nationalsozialismus*› (ز م).
2 Ina R. Friedman, The Other Victims: First-Person Stories on Non-Jews Persecuted by the Nazis, Boston u. a. 1990, S. 1.

3 Seit etwa zehn Jahren wird intensiv über afrikanische Opfer des Nationalsozialismus geforscht. Vgl. Robert W. Kesting, Forgotten Victims: Blacks in the Holocaust. In: The Journal of Negro History 77 (1992) 1, S. 30-36; ders., The Black Experience during the Holocaust. In: Michael Berenbaum/Abraham J. Peck (Hg.), The Holocaust and History. The Known, the Unknown, the Disputed, and the Reexamined, Washington u. a. 1998, S. 358-365; Susann Samples, African Germans in the Third Reich. In: Carol Aisha Blackshire-Belay (Hg.), The African-German Experience. Critical Essays, Westport 1996, S. 53-69; Marianne Bechhaus-Gerst, Afrikaner in Deutschland 1933-1945. In: 1999. Zeitschrift für Sozialgeschichte des 20. und 21. Jahrhunderts 12 (1997) 4, S. 10-31; Maguéye Kassé, Afrikaner im nationalsozialistischen Deutschland. In: Utopie kreativ (2000) 115-116, S. 501-507; Clarence Lusane, Hitler's Black Victims. The Historical Experiences of Afro-Germans, European Blacks, Africans, and African Americans in the Nazi Era, New York-London 2003.

4 Zum Diskurs über den Mufti und seine Kollaboration mit den Nationalsozialisten vgl. Rainer Zimmer-Winkel (Hg.), Eine umstrittene Figur. Hadj Amin al-Husseini, Mufti von Jerusalem, Trier 1999.

5 Vgl. Jan Assmann, Die Katastrophe des Vergessens. Das Deuteronium als Paradigma kultureller Mnemotechnik. In: Aleida Assmann/Dietrich Harth (Hg.), Mnemosyne. Formen und Funktionen der kulturellen Erinnerung, Frankfurt/M. 1991, S. 344.

6 Tom Segev, "Der Holocaust gehört in seinen konkreten historischen Kontext". (In: Universitas 51 (1996), S. 90.). ويفسر شتاينبخ هذا السلوك بأن هذا التقسيم إلى أجزاء صغيرة لأحداث التاريخ الجماعي، وبالتالي لعتها و«عزل تجربة الآلام» يؤدي إلى «حصار فكري للشعور بالرثاء، أو التعاطف» وأن النتيجة هي تضيق يقومون به عن قصد وتصميم كاملين، لنطاق الاحتفاء بالذكرى، التي ما عادت تواسي أو تعزي، بل تصيب وتجرح. وليس من النادر أن يُتمّ الإحساس بها على أنها شكل من أشكال الاحتفاء العصبي بذكرة مقصورة، حصرًا، على ضحاياهم هم.

7 Zum arabischen Holocaust-Diskurs vgl. Rainer Zimmer-Winkel (Hg.), Die Araber und die Shoa. Über die Schwierigkeiten dieser Konjunktion, Trier 2000. Zu aktuellen Debatten siehe Karin Joggerst, Koexistenz und kollektives Gedächtnis. Israelische und palästinensische Historiker suchen eine Annäherung. In: INAMO 6 (2000) 22, S. 28-30, und die Replik von Ghassan Abdallah ebenda 6 (2000) 23-24, S. 42, sowie Souad Mekhennet, Warum wussten wir es nicht? Der Holocaust und die arabischen Opfer: Der Nachrichtensender Al Dschazira bricht ein politisches Tabu. In: Frankfurter Allgemeine Zeitung, 6. Januar 2003, auch Aviv Lavie, Partners in Pain. Arabs Study the Holocaust. In: CounterPunch, 12. Februar 2003.

8 Vgl. Bundesarchiv Berlin (BArchB), R 58, Nr. 459, Bl. 45(RS).

9 Für die wertvolle und großzügige Unterstützung meiner Recherchen danke ich v. a. dem Bundesarchiv, dem Geheimen Staatsarchiv, dem Landesarchiv, dem Politischen Archiv des Auswärtigen Amtes, der Deutschen Dienststelle (ehem. WASt) und der Senatsverwaltung für Stadtentwicklung und Umweltschutz, Abt. Gräberwesen, in Berlin, dem Service des Victimes de la Guerre in Brüssel, dem Bundesarchiv/Militärarchiv in Freiburg/Br., dem Staatsarchiv Hamburg, den Thüringischen Staatsarchiven in Gotha, Meiningen und Rudolstadt, dem Sächsischen Staatsarchiv in Leipzig, dem Kulturamt/Stadtarchiv in Meersburg, dem Landeshauptarchiv Sachsen-Anhalt in Merseburg, dem Stadtarchiv und dem Regionalmuseum in Neubrandenburg, dem Brandenburgischen Landeshauptarchiv in Potsdam, der Gedenk- und Dokumentationsstätte KZ Drütte in Salzgitter, dem Stadt- und

Kreisarchiv Schmalkalden, dem Landeshauptarchiv und dem Stadtarchiv in Schwerin, dem Garten- und Friedhofsamt Stuttgart, dem Dokumentationsarchiv des österreichischen Widerstandes und dem Österreichischen Staatsarchiv/Archiv der Republik in Wien.

10 Vgl. Österreichisches Staatsarchiv, Wien/Archiv der Republik (ÖStArchW/AdR), Neues Politisches Archiv, Karton 540, Liasse Egypten.

11 Vgl. BArchB, R 43 II, Nr. 1423, Bl. 172ff.

12 Vgl. ebenda, Bl. 177f.

13 كان للمواطن الأمريكي، فلمنغ، الذي كان يعرف منذ عام (1935 م)، في برلين، أمٌّ تونسية، وأب مصري، ويُفترَض أن تمديد الإذن له بالعمل في ألمانيا إنما تحقق بتدخُّل السفير وليام هـــ دود لدى وزارة الدعاية في الرايخ. (Vgl. Egino Biagioni, Herb Flemming, a Jazz Pioneer around the World, Alphen 1977, S. 5 und 49ff.).

14 Vgl. Michael H. Kater, Gewagtes Spiel. Jazz im Nationalsozialismus, Köln 1995, S. 86.

15 Vgl. Hubert von Meyerinck, Meine berühmten Freundinnen. Erinnerungen, Düsseldorf-Wien 1967, S. 112.

16 Vgl. Reiner Pommerin, "Sterilisierung der Rheinlandbastarde". Das Schicksal einer farbigen deutschen Minderheit 1918-1937, Düsseldorf 1979, S. 78.

17 BArchB, Film 14198, Bl. 471257.

18 Ebenda, Bl. 471161.

19 Vgl. Wolfgang Abel, Bastarde am Rhein. In: Neues Volk 2 (1934) 2, S. 4-7; ders., Über Europäer-Marokkaner- und Europäer-Annamiten-Kreuzungen. In: Zeitschrift für Morphologie und Anthropologie 36 (1937), S. 311ff. Abel war "anthropologischer Gutachter" für die Sterilisationskommissionen.

20 BArchB, R 1501, Nr. 1271, Bl. 31.

21 كانت الرقابة على الأجانب تعود الى المقر الرئيس لوزارة أمن الرايخ (Reichssicherheitshauptamt)، وكانت تعود، منذ آب عام (1940 م)، إلى تقرير من دائرتها الرابعة، وفي الغستابو، وفي (1939/09/16 م) طُلب إلى كل العراقيين، وفي (24) تشرين الأول، إلى كل التابعين للمستعمرات والمحميات ومناطق الانتداب الفرنسية في الرايخ الإبلاغ عن أنفسهم لدى دوائر الشرطة المحلية، بهدف التسجيل. (Vgl. ebenda, Bl. 48 und 66.).

22 Vgl. Reichsgesetzblatt, Jahrgang 1939, Teil I, S. 1667.

23 Vgl. BArchB, R 58/459, Bl. 94

24 (Vgl. Politisches Archiv des Auswärtigen Amtes, Berlin (PArchAAB), R 40750.). كان كثير من اليهود المحتجزين في معسكرات الرايخ والنمسا والمناطق المحتلة، والمتمتعين بصفة المواطنة الفلسطينية، مرصودين للمبادلة مع الألمان الذين كانت السلطات البريطانية في فلسطين تعتقلهم. ومنذ تشرين الأول عام (1943 م)، على أبعد تقدير، توجد في اللوائح التي قدمتها السفارة السويسرية للفلسطينيين الراغبين في التبادل، أيضـــا، عرب من الرايخ ومن النمسا، على أن فريقـــا ممَّن قُدر أنهم ليسوا موالين للألمان، كانوا محتجزين في المعسكرات (Ilag VII Laufen und im Ilag Saint-Denis interniert. Vgl. ebenda, R 41532 und R 41533.).

25 Zu ihm vgl. Wolfgang Schwanitz, Aziz Cotta Bey, deutsche und ägyptische Handelskammern und der Bund der Ägypter Deutscher Bildung (1919-1939). In: Gerhard Höpp (Hg.), Fremde Erfahrungen.

Asiaten und Afrikaner in Deutschland, Österreich und in der Schweiz bis 1945, Berlin 1996, S. 359-382.

26 Vgl. PArchAAB, Nachlass Hentig, Bd. 150.

27 Vgl. BArchB, Film 14188, Bl. 200197f.

28 Vgl. ebenda, R 58/459, Bl. 82.

29 Vgl. Sächsisches Staatsarchiv Leipzig (SStArchL), Untersuchungshaftanstalten Leipzig, Nr. 434

30 (Vgl. BArchB, R 58/459, Bl. 48.). في (1941/01/31 م) أصدر الحاكم العسكري الألماني في فرنسة تعليماته باستثناء من يحملون الجنسية العربية ويعيشون في المناطق المحتلة، ولاسيما رعايا الدول عُمان والعراق وفلسطين، وكذلك مصر، من الاعتقال (Vgl. PArchAAB, Botschaft Paris, Nr. 2378.). وفي (1941/06/19 م) أكّد: «إنّ العراقيين الذين يحملون الجنسية العربية لم يُعتقلوا في المنطقة المحتلة من فرنسة، كما لم يُعتقلوا في ألمانيا أيضـــاً» (Vgl. ebenda, Nr. 2342.). والظاهر أن هذا حدث مراعاة للمشاعر التي يُفترض أنها موالية للألمان في أوساط النخب العراقية والفلسطينية. غير أن هذا لم يغير شيئـــاً من الحظر المفروض على الرحيل: فحين أعلمت المفوضية الأفغانية، في (1943/05/07 م)، بحكم كونها الجهة التي تمثل الدولة الراعية لمصالح العراق، وزارة الخارجية أن الحكومة العراقية طلبت إلى كل العراقيين الموجودين في مجال دول المحور، العودة إلى الوطن، مع تهديدهم بالعقوبات، ومنها مصادرة ثروتهم، والتمست منحهم تأشيرات خروج، رفضت ذلك وزارة الخارجية، وعرضت، في مقابل ذلك مبادلة العراقيين الراغبين في الرحيل بالرجال الألمان القادرين على حمل السلاح المحتجزين عند بداية الحرب، في العراق، والذين نُقلوا بعد ذلك إلى الهند البريطانية. وفي هذه الأثناء لم يكن يحظ بالاهتمام الألمان الموجودون في معسكر الاعتقال العراقي (العمارة)، والذين كان مدار المسألة عندهم يتعلق برعايا للرايخ «غير آريين، مصاهرين لليهود» ومتزوجيهن من شرقيين (Vgl. ebenda, R 41516.).

31 Vgl. ebenda, R 29863.

32 Vgl. ebenda, Nachlass Hentig, Bd. 150.

33 Vgl. ebenda, R 41673.

34 (Vgl. ebenda, R 41483.). كان يوجد، ضمن طاقم الباخرة (زمزم)، أيضـــاً، ستة من اليونانيين والكروات.

35 تم إنقاذهم وجيء بهم إلى الوطن، وبينما كان مصيرهم يجد، حتى الآونة الأخيرة، اهتمامـــا عامـــا، كان من الواضح الجلي أن مصير الطاقم المصري لم يأت على ذكره سوى في ‹محمد كاظم: زمزم الغريقة، م س ذ، (1945 م)›. (vgl. u. a. Swan Hjalmar Swanson (Hg.), Zamzam. The Story of a Strange Missionary Odyssey, by the Agustana Synod Passengers, Minneapolis 1941; Isabel Russell Guernsey, Free Trip to Berlin, Toronto 1943; Susan G. Loobie, Responding to the Storms of Life. Remembering the Zamzam. In: Latin America Evangelist, January-March (1999), online unter http://www.lam.org/lae/9901/stormsoflife.html; Eleanor Anderson, Miracle at Sea: The Sinking of the ZamZam and Our Family's Rescue, Bolivar 2000).

36 Vgl. PArchAAB, R 40967.
37 Vgl. ebenda.
38 المصدر السابق. في تموز عام (1942 م) قدم الحاكم العسكري الألماني لبلجيكا وشمال شرقي فرنسة، إلى القيادة العليا للجيش أربعة من المصريين القاطنين في مجال قيادته، للتبادل.
39 Vgl. ebenda, R 41714.
40 Vgl. ebenda, R 41483, R 41484 und R 41485.
41 Zit. in Helmuth Forwick, Zur Behandlung alliierter Kriegsgefangener im Zweiten Weltkrieg. In: Militärgeschichtliche Mitteilungen (1967) 2, S. 127.
42 Vgl. PArchAAB, R 40769 und R 40770.
43 Z. B. bei Georg Hebbelmann, Stalag VI A Hemer. Ein Kriegsgefangenenlager in Westfalen, Münster 1995, S. 13.
44 Uwe Mai, Kriegsgefangen in Brandenburg. Stalag III A in Luckenwalde 1939-1945, Berlin 1999, S. 148.
45 Recherchiert auf der Grundlage folgender Quellen: BArchB, Film 15125, 15557, 57408, 57409, 57410 und 57690; PArchAAB, R 40723, R 40726, R 40747, R 40769, R 40770, R 40987, R 40988, R 40989, R 40990, R 41039, R 67003; Bernd Boll, Fremdarbeiter in Offenburg, 1940-1945. Arbeitsmanuskript, Offenburg 1988; Pierre Gascar, Histoire de la captivité des Français en Allemagne (1939-1945), Paris 1967; Hebbelmann, a. a. O.; Achim Kilian, Mühlberg 1939-1948, Köln u. a. 2001; Erich Kosthorst/Bernd Walter, Konzentrations- und Strafgefangenenlager im Dritten Reich. Beispiel Emsland. Zusatzteil: Kriegsgefangenenlager. Bd. 2 und 3, Düsseldorf 1983; Eva-Maria Krenkel/Dieter Nürnberger, Lebensskizzen kriegsgefangener und zwangsverpflichteter Ausländer im Raum Fritzlar-Ziegenhain 1940-1943, Kassel 1985; Dieter Krüger, "... Doch sie liebten das Leben". Gefangenenlager in Neubrandenburg 1939 bis 1945, Neubrandenburg 1990; Joachim Rotberg, Zwangsarbeiter und Kriegsgefangene in katholischen Einrichtungen im Bereich der Diözese Limburg: ein Werkstattbericht, Limburg 2001; Stanislaw Senft/Horst Więcek, Obozy jenieckie na obszarze śląskiego okręgu Wehrmachtu 1939-1945, Wroclaw u. a. 1972; Tadeusz Sojka, Zbrodnie Wehrmachtu na jeńcach wojennych w Żaganu 1939-1945, Zielona Gora 1982.
46 Vgl. Margaret Ginns, French North African Prisoners of War in Jersey. In: Channel Islands Occupation Review (1985), S. 50-70.
47 «مع كل ما بذلناه من جهود لم يُتح لنا الحصول على إشارات دقيقة إلى عدد أسرى الحرب من الشمال الإفريقي في معسكرات اعتقال الضباط ومعسكرات اعتقال من هم دون الضباط (Stalags)» (Belkacem Recham, Les Musulmans Algériens dans l'armée française (1919-1945), Diss., Paris 1995, S. 219).
48 Vgl. ebenda, S. 222.
49 Vgl. ebenda, S. 222.
50 Vgl. PArchAAB, R 40768 und R 41106.
51 Vgl. Recham, a. a. O., S. 224.
52 قارن المصدر السابق. أسفرت الثورات الخاصة في (12) من (15) من معسكرات اعتقال الجنود والمتطوعين، في صيف عام (1941 م) عن عدد لا يكاد يبلغ (30000) أسير، وفي خريف عام (1941 م) ارتفع العدد إلى ستة من اثني عشر معسكرًا لاعتقال، الجنود والمتطوعين، بمقدار نحو خمسة آلاف أسير.

53 Vgl. ebenda, S. 221; BArchB, Film 57690.

54 أمكن، في إطار برنامج التبادل (Releve) الذي أعلنته حكومة فيشي في حزيران من عام (1942 م) «افتداء» أسير حرب عن طريق إرسال ثلاثة من العمال الفرنسيين إلى ألمانيا. (Vgl. Helga Bories-Sawala, Franzosen im "Reichseinsatz". Deportation, Zwangsarbeit, Alltag. Bd. 1, Frankfurt/M. u. a. 1996, S. 263ff.).

55 في مستهل عام (1943 م) تم الاتفاق بين حكومة فيشي والرايخ على «الوضع الميسَّر»، وبموجبه يمكن إحلال أسير حرب في وضع عامل مدني مقابل كل عامل فرنسي يتولى العمل في ألمانيا. قارن المصدر السابق، ص 237–8.

56 Vgl. Recham, a. a. O., S. 225ff.
57 Vgl. ebenda, S. 227ff.
58 Vgl. BArchB, Film 4923, Bl. 393375; ebenda, Film 3660, Bl. 650600.
59 Vgl. Bundesarchiv/Militärarchiv, Freiburg (BArch/MArchF), WF-03/14247, Bl. 307, 329, 332 und 339.
60 Vgl. Reichsgesetzblatt, Jahrgang 1934, Teil II, S. 235.
61 Vgl. ebenda.

• حرفيـــاً: قوة الدفاع.

62 Vgl. PArchAAB, R 67003.
63 Vgl. Reichsgesetzblatt, Jahrgang 1934, Teil II, S. 249.
64 Vgl. PArchAAB, R 67003.
65 Vgl. BArchB, Film 15810, Bl. E026316.
66 Vgl. PArchAAB, R 60660.
67 Vgl. BArchB, Film 3660, Bl. 650601.

68 لا تتوافر، في الأدبيات المتعلقة بهذا الموضوع، إشارات إلى الحياة الدينية لأسرى الحرب المسلمين؛ (Vgl. u. a. Yves Durand, La vie quotidienne des prisonniers de guerre dans les Stalags, les Oflags et les Kommandos 1939-1945, Paris 1987, S. 173ff; Markus Eikel, Französische Katholiken im Dritten Reich. Die religiöse Betreuung der französischen Kriegsgefangenen und Zwangsarbeiter 1940-1945, Freiburg 1999.).

69 Vgl. Reichgesetzblatt, Jahrgang 1934, Teil II, S. 237.
70 Vgl. BArch/MArchF, RH 49, Nr. 51.
71 Vgl. PArchAAB, R 40769, R 40770, R 40988 und R 40989.
72 Vgl. Eine Moschee in Großbeeren? Kein Hirngespinst – es gab sie wirklich! In: Amtsblatt Großbeeren (1999) 11, S. 12; Regina Clausnitzer, Moschee in Großbeeren – Suche nach einer Fotoaufnahme nun doch noch erfolgreich. Ebenda (2000) 5, S. 17. Ein Foto der Moschee ist auch einem propagandistischen Artikel über ein Kriegsgefangenenlager beigegeben, das ca. 500 Nordafrikaner beherbergt haben soll. (قارن: زيارة إلى معسكر الأسرى المغاربة القائم في ضواحي برلين. في: بريد الشرق 27/1941/2).

73 يقال إنه يوجد، فضلاً على ذلك، تونسي يستطيع قراءة القرآن وممارسة الرعاية الروحية لرفاقه في العقيدة. (PArchAAB, R 40747. Siehe auch ebenda, R 67003.).

74 (Vgl. BArch/MArchF, RH 49, Nr. 67.). يقال إن التوسع في الإذن للمسلمين بنحر الأضاحي، الذي أصدرته (القيادة العليا للقوات المسلحة بتاريخ (1944/06/01 م)، عن ، وينطبق على «أسرى الحرب ذوي الديانة الإسلامية» (في: Forwick, a.

(a. O., S. 129f). من الجائز أن يكون سريان على المسلمين بين صفوف أسرى الحرب السوفييت، الذين كانوا يُمارس لديهم خطبٌ وُد للوحدات «المنتمية إلى شعوب أجنبية» في القوات المسلحة وفي منظمة (وحدات الدفاع).

75 Vgl. PArchAAB, R 67004; BArch/MArchF, RH 49, Nr. 51.

76 Vgl. PArchAAB, R 67004.

77 كانت تُخصص للمسلمين شواهد قبور من خشب البلوط أو الصنوبر، في صورة تقوية للألواح، مُشرَّبة بالشمع، مكوية بالنار (في شكلها الخام) بسماكة (8 سم).
Vgl. Brandenburgisches Landeshauptarchiv, Potsdam (BrLHArchP), Rep.6 (B Jüterbog-Ludwigsfelde, Nr. 371/4, Bl. 105).

78 Vgl. PArchAAB, R 67004.

79 الاحتفال بعيد الفطر في أحد المعتقلات الألمانية للأسرى المسلمين. في ‹بريد الشرق 44/1942/4، 31-2›. انظر أيضاً: ‹لسان العصير. 6/7/1941/1-7›.

80 قارن ‹لسان العصير. 3/1/1941/1-5›، والمصدر نفسه، 4/2/1941/1.

81 رئيس تحرير الصحيفة المطبوعة في بوردو كان أحمد الحنصال؛ وآخر عدد متوافر يحمل الرقم (13) وصدر في آذار عام (1942 م).

82 لم تتوافر لي إمكانية الاطلاع على نسخ من الصحيفة التي صدرت في عام (1940 م)، والتي حررها شخص اسمه صالح بن محمد. مذكورة في ‹جمع البيضا: المغرب والدعاية النازية. أعمال الملتقى الجامعي الاول. الرباط 1991، ص 24›.

83 صدرت بين عامي (1993 و1944 م)، ويبدو أن محرركها كان المصري كمال الدين جلال الذي كلفته بالعمل وزارة الدعاية الإمبراطورية. قارن (Gerhard Höpp, Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg 1915-1945. Geschichtlicher Abriss und Bibliographie, Berlin 1994, S. 16).

84 Vgl. PArchAAB, R 67003.

85 Vgl. Gerhard Höpp, Muslime in der Mark. Als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914-1924, Berlin 1997.

86 في تموز من عام (1940 م) توجه ماكس فون أوبنهايم، الذي كان قد حفز في الحرب العالمية الأولى إلى المعاملة الخصوصية التي مورست مع أسرى الحرب من المسلمين، إلى وزارة الخارجية، واقترح، بالإشارة إلى هذه التجاريب، ضمن أمور أخرى، «معاملة خصوصية، ودية لأسرى الحرب المغاربة والجزائريين والتونسيين» قائلا: إن هذه المعاملة خليقة أن تعود على ألمانيا بـ«ثمار طيبة». (Vgl. BArchB, Film 14882, Bl. 326020.).

87 Vgl. Recham, a. a. O., S. 220.

88 Vgl. ebenda, S. 220ff.

89 قارن (ebenda, S. 217f). تذكر وثائق الوفيات المتوافرة بين يدي، والمتعلقة بأسرى الحرب من الشمال الإفريقي، من معسكر اعتقال المجندين (Stalag III A Luckenwalde)، السل، من دون استثناء.

90 اضطر نحو (170) أسير مغربي، في تشرين الأول (1944 م)، في رامرزفير (Ramersweier)، إلى القيام بأعمال الشحن والتفريغ العائدة لقيادة ورشة عمل

لمعسكر اعتقال المجندين (V F Offenbnburg) التابع للقوات المسلحة. وفضلاً على ذلك تم تخصيصهم، في فرق صغير، بإشراف حارس، للمزارعين، لجني البطاطا.

.(Boll, a. a. O., S. 57.)

91 Vgl. Recham, a. a. O., S. 222ff. Außer den von Recham genannten Fronststalags hatten auch die Lager 124, 132, 135, 161, 181, 184, 190, 200, 230 und 232 Arbeitskommandos.

92 Vgl. David Killingray, Africans and African Americans in Enemy Hands. In: Bob Moore/Kent Fedorovich (Hg.), Prisoners of War ant their Captors in World War II, Oxford-Washington 1996, S. 181-204; Catherine Akpo, Africains dans les stalags. In: Jeune Afrique 38 (1998) 1934, S. 46-49; Peter Martin, "... auf jeden Fall zu erschießen". Schwarze Kriegsgefangene in den Lagern der Nazis. In: Mittelweg 36, 8 (1999) 5, S. 76-91.

93 Mikolaj Caban, Flucht aus dem Jenseits, Berlin 1971, S. 87.

94 Vgl. Robert Stigler, Rassenphysiologische Untersuchungen an farbigen Kriegsgefangenen in einem Kriegsgefangenenlager. In: Zeitschrift für Rassenphysiologie 13 (1943) 1-2, S. 26-57; Josef Wastl, Anthropologische Untersuchungen an belgischen und französischen Kriegsgefangenen. In: Anzeiger der Akademie der Wissenschaften in Wien. Mathematisch-naturwissenschaftliche Klasse 78 (1941) 13, S. 103-106.

95 Stadtarchiv Schwerin, MB 699.

96 BArch/MArchF, RH 49, Nr. 67.

97 Vgl. ebenda, WF-03/14247, Bl. 305.

98 Vgl. u. a. die Standardwerke von Ulrich Herbert, Fremdarbeiter. Politik und Praxis des "Ausländer-Einsatzes" in der Kriegswirtschaft des Dritten Reiches, Berlin-Bonn 1985 (Neufl. Bonn 1999), und Wilfried Reininghaus (Hg.), Zwangsarbeit in Deutschland 1939-1945. Archiv- und Sammlungsgut, Topographie und Erschließungsstrategien, Bielefeld u. a. 2001.

99 Vgl. Yves Durand, Vichy und der "Reichseinsatz". In: Ulrich Herbert (Hg.), Europa und der "Reichseinsatz". Ausländische Zivilarbeiter, Kriegsgefangene und KZ-Häftlinge in Deutschland 1938-1945, Essen 1991, S. 184-199.

100 Vgl. Jacques Evrard, La déportation des travailleurs français dans le IIIe Reich, Paris 1972, S. 53; Patrick Weil, La France et ses étrangers. L'aventure d'une politique de l'immigration de 1938 à nos jours, Paris 1991, S. 45.

101 Vgl. Jean-Jacques Rager, Les Musulmans Algériens en France et dans les Pays Islamiques, Paris 1950, S. 74ff. Da sich alle folgenden Darstellungen (u. a. Alain Gilette/Abdelmalik Sayad, L'immigration algérienne en France, Paris, 1984, S. 84; Belkacem Hifi, L'immigration algérienne en France. Origines et perspectives de non-retour, Paris 1985, S. 118; Benjamin Stora, Histoire politique de l'immigration algérienne en France, Paris 1991, S. 206f.) geradezu wörtlich auf diese Quelle beziehen, wird nur sie im folgenden zitiert.

102 Vgl. Martin Pabst, "Auch vor außergewöhnlichen Maßnahmen ist nicht zurückzuschrecken". Die Fremdarbeiter im Kreis Merseburg während des II. Weltkrieges. Eine Dokumentation, Halle 1997, S. 32.

103 Vgl. Rager, a. a. O., S. 77f.

104 Vgl. Marion Külow u. a., Archivalische Quellennachweise zum Einsatz von ausländischen Zwangsarbeitern sowie Kriegsgefangenen während des Zweiten Weltkrieges. 2. Aufl., Leipzig 1994 (Veröffentlichungen des Sächsischen Staatsarchivs Leipzig, 4); Zwangsarbeiter in Südthüringen während des Zweiten Weltkrieges. Archivalisches Quelleninventar, Meiningen 1995 (Schriften des Thüringischen Staatsarchivs Meiningen, 2); Frank Schmidt, Zwangsarbeit in der Provinz Brandenburg 1939-1945.

Spezialinventar der Quellen im Brandenburgischen Landeshauptarchiv, Frankfurt/M. 1998; Kerstin Bötticher, Spezialinventar Quellen zur Geschichte der Zwangsarbeit im Landesarchiv Berlin (1939-1945), Berlin 2001.

105 Vgl. Evrard, a. a. O., S. 53; Rager, a. a. O., S. 75f. Die bei Gillette/Sayad, a. a. O., S. 58, und Hifi, a. a. O., S. 118, genannte Zahl von 16000 dürfte ein (Ab)Schreibfehler sein.

106 Vgl. Rager, a. a. O., S. 78.

107 (Vgl. Stora, a. a. O., S. 208.). ثمة مرجع ألماني يعود إلى عام (1944 م) لا يذكر سوى (5000) من الشمال الإفريقي مقيدين في السلاسل، وبضعة آلاف كانوا يعملون في المشروعات الفرعية الفرنسية لمنظمة تودت. وعلى كل حال فإن من غير المعقول أن تصح الإفادة التي أدلى بها أحد القياديين في حكومة فيشي بعد الحرب، وهي أن منظمة تودت لم تجند سوى (200) من شمالي إفريقية.

108 Vgl. Franz W. Seidler, Die Organisation Todt. Bauen für Staat und Wehrmacht 1938-1945, Koblenz 1987, S. 133.

109 Vgl. BArchB, R 50 I/238, Bl. 11; ebenda, R 50 I/210, Bl. 100ff.

110 Vgl. Handbook of the Organisation Todt by the Supreme Headquarters Allied Expeditionary Force Counter-Intelligence Sub-Division MIRS/MR-OT/5/45, Osnabrück 1992, S. 185.

111 «في حالة مجموعة التدخل بسكايا (Einsatzgruppe Biskaya)، تم من أجل الرجال المغاربة، إعداد معسكر لمنظمة تودت/ ليندين في الثكنة الاستعمارية، الفرنسية السالفة، في ميناء بالاكان (Caserne Coloniale im Hafen Bacalan (in Bordeaux – G.H.). (Seidler, a. a. O., S. 141.).

112 Vgl. ebenda, S. 178f.

113 Bernd Zielinski, Staatskollaboration. Vichy und der Arbeitskräfteeinsatz im Dritten Reich, Münster 1995, S. 69.

114 Vgl. Seidler, a. a. O., S. 165ff.

115 Vgl. BArchB, R 50 I/210, Bl. 49.

116 Vgl. Seidler, a. a. O., S. 166ff.

117 Vgl. BArchB, R 50 I/209, Bl. 32.

118 Zu dieser für die soziale Betreuung französischer, darunter nordafrikanischer OT-Arbeiter 1943 geschaffenen "Parallelorganisation zur OT-Frontführung" vgl. Seidler, a. a. O., S. 155.

119 Vgl. BArchB, R 50I/209, Bl. 33.

120 Vgl. SStArchL, Metallguss GmbH Leipzig, Nr. 11.

121 كما في حالة الجزائري سعيد فرقان الموظف في شركة دايملر-بنز في غنزهاغن (Genshagen). (Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.20 B Arbeitsamt Luckenwalde, Nr. 2, Bl. 93(RS).).

122 وهذا وحده يدحض ادعاء غيوم أن «كل أفارقة الشمال» المنتمين إلى خدمة العمل الإلزامي ظلوا بمنجاة عن ذلك. (Vgl. Guillaume, a. a. O.).

123 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.6 B Cottbus, Nr. P 1184.

124 Vgl. SStArchL, ASW Espenhain, Nr. 340.

125 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.75 AEG Hennigsdorf, Nr. 24, Bl. 17.

126 Vgl. ebenda, Pr.Br.Rep.75 Lehmanns Witwe & Sohn, Tuchfabrik Guben, Nr. 498.

127 Vgl. Archivum Państwowe w Katowicach, oddzial w Oświęcimiu, coll. Bürgermeister Auschwitz 1/59, Bl. 59.

128 Vgl. Evrard, a. a. O., S. 268; Karl Heinz Roth, I.G. Auschwitz. Normalität oder Anomalie eines kapitalistischen Entwicklungsursprungs? In: "Deutsche Wirtschaft". Zwangsarbeit von KZ-Häftlingen für Industrie und Behörden, Hamburg 1991, S. 86f.

129 كان من بين السبعة عشر من العرب المدفونين في المقبرة الإسلامية، وفي مقابر برلين– فرو هناو، وبرلين–هيلغزيه (Berlin-Heiligensee)، وحدهُن، خمسة ماتوا من جراء «إصابات ألحقها العدو بهم». (Vgl. Senatsverwaltung für Stadtentwicklung und Umweltschutz, Abt. Gräberwesen, Grundliste 14 I sowie Listen 20a und 20b).

130 Vgl. Durand, a. a. O., S. 191.

131 Vgl. Charles-Robert Ageron, Les populations du Maghreb face à la propagande allemande. In: Revue d'Histoire de la Deuxième Guerre Mondiale 29 (1979) 114, S. 22; Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien. Bd. 2, Algier 1993, S. 624ff.

132 Vgl. PArchAAB, Botschaft Paris, Nr. 1116c.

133 أصدر الصحيفة القومي التونسي يوسف الرويسي. للمزيد عن الموضوع وعنه انظر «عبد الجليل التميمي (محررًا): كتابات ومذكرات المناضل يوسف الرويسي السياسية مع وثائق جديدة تنشر لأول مرة. زاغوان 1995».

134 Vgl. PArchAAB, R 47666.

135 Zu ihm vgl. Gerhard Höpp, Texte aus der Fremde. Arabische politische Publizistik in Deutschland, 1896-1945. Eine Bibliographie, Berlin 2000, S. 59.

136 Vgl. PArchAAB, R 27327.

137 Vgl. Senatsverwaltung für Stadtentwicklung und Umweltschutz, Abt. Gräberwesen, Liste 20 B, S. 40.

138 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep. 6 B Cottbus, Nr. P 1184. Zur Rolle der PPF in Algerien vgl. Mostéfa Haddad, L'Algérie de l'entre-deux-guerres: Crise economique et action de propagande des groupuscules d'extrème-droite française dans le Constantinois au cours de années trente. In: Mélanges Charles-Robert Ageron. Bd. 1, Zaghouan 1996, S. 306ff.

139 Vgl. BArchB, Sammlung Research (ehem. BDC), Nr. 813.

140 Vgl. SStArchL, ASW Espenhain, Nr. 310.

141 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.75, IG Farben, Werk Premnitz, Nr. 1707.

142 (انظر: Vgl. Thüringisches Staatsarchiv Gotha (ThStArchG), Amt Schönstedt, Nr. 53, Bl. 186). الظاهر أن جورج بن أ. أصبح رابط الجاش، وعلى كل حال فقد كان في عام (1944 م) مسجلاً في السجن البديل، وفي شارع ريبك (Riebeckstraße)، في لايبتسغ.

143 Vgl. Geheimes Staatsarchiv, Berlin (GStArchB), XVIII. Hauptabteilung, Anhang C, Nr. 10, Bl. 72.

144 Vgl. Senft/Więcek, a. a. O., S. 203f.

145 Zu dieser Form der "Resistenz" vgl. Herbert, a. a. O., S. 344ff.

146 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.29, Zuchthaus Brandenburg, Nr. 1692.

147 Vgl. BArchB, R 3001, IV g 14/4537/42, Bl. 3ff.

148 Vgl. Landesarchiv Berlin (LArchB), A Rep.358-02, Nr. 89681; BrLHArchP, Pr.Br.Rep.214, Hammer, Nr. 37, Bl. 180.

149 Vgl. SStArchL, Untersuchungshaftanstalten Leipzig, Nr. 420. Siehe dazu die "Verordnung gegen Volksschädlinge" vom 5. September 1939 in: Reichsgesetzblatt, Jahrgang 1939, Teil I, S. 1679.

150 Vgl. grundsätzlich dazu Stefan Karner, Arbeitsvertragsbrüche als Verletzung der Arbeitspflicht im "Dritten Reich". In: Archiv für

Sozialgeschichte 21 (1981), S. 269ff.; Wolfgang Wippermann, Sanktionierung der Zwangsarbeit: "Arbeitsvertragsbruch" und "Arbeitserziehungslager" in Berlin-Brandenburg. In: Winfried Meyer/Klaus Neitmann (Hg.), Zwangsarbeit während der NS-Zeit in Berlin und Brandenburg, Potsdam 2001, S. 85ff.; auch Herbert, a. a. O., S. 344ff.

151 Vgl. grundsätzlich Gabriele Lotfi, KZ der Gestapo. Arbeitserziehungslager im Dritten Reich, Stuttgart-München 2000.

152 Vgl. SStArchL, ASW Espenhain, Nr. 323.

153 Vgl. PArchAAB, R 41484. Zu diesem AEL siehe Nils Aschenbeck/Rüdiger Lubricht/Hartmut Roder u. a., Fabrik für die Ewigkeit. Der U-Boot-Bunker in Bremen-Farge, Hamburg 1995, S. 46f.

154 Vgl. (tm)StArchW/AdR, Häftlingsbuch des ehem. "Gestapo" Arbeitserziehungslagers "Ober Lanzendorf", Gefangenen-Buch B, 1.1.1944-13.7.1944. Siehe auch Heinz Arnberger, Das Arbeitserziehungslager Oberlanzendorf. In: Widerstand und Verfolgung in Niederösterreich 1934-1945. Bd. 2, Wien 1987, S. 573-586.

155 Vgl. SStArchL, Polizeipräsidium Leipzig, Gefangenentagebücher des Polizeigefängnisses, Nr. 8524 und 8525.

156 Vgl. Staatsarchiv Stade, Rep.171 Verden, acc. 66/88. Siehe auch Rolf Wessels, Das Arbeitserziehungslager in Liebenau 1940-1943, Nienburg 1990, S. 32.

157 Vgl. BArchB/Stiftung Archiv der Parteien und Massenorganisationen der DDR (SAPMO), By 5/V 279/109; Gedenk- und Dokumentationsstätte KZ Drütte.

158 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.29, Zuchthaus Brandenburg, Do 5, Bl. 61(RS); Thüringisches Staatsarchiv Meiningen (ThStArchM), Zuchthaus Untermaßfeld, Gefangenenkartei.

159 Vgl. ThStArchM, Zuchthaus Untermaßfeld, Gefangenenkartei.

160 Siehe Katharina Witter, Das Zuchthaus Untermaßfeld 1813-1945. In: Archiv und Regionalgeschichte. 75 Jahre Thüringisches Staatsarchiv Meiningen, Meiningen 1998, S. 255-294.

161 Vgl. PArchAAB, R 27327.

162 Zu diesem Lager siehe Wolfgang Wippermann, Nationalsozialistische Zwangslager in Berlin II. Das "Arbeitserziehungslager" Wuhlheide. In: Wolfgang Ribbe (Hg.) Berlin-Forschungen II, Berlin 1987, S. 179-188.

163 Vgl. PArchAAB, R 41532. Sh. wurde am 1. Juni 1944 "entlassen". Vgl. ebenda, R 41535.

164 Vgl. BArchB, R 3001, Iv g 11/2225/44, Bl. 1-24.

165 Vgl. Dokumentationsarchiv des österreichischen Widerstands, Nr. 11240.

166 Vgl. ebenda, Nr. 6939.

167 (Vgl. ebenda, Nr. 7384.). وكان للمسألة مثال آخر: فحين حُكم، في (1943/06/09 م)، على النمساوية لدملا ز، بسبب التحضير للخيانة العظمى، أخذت عليها المحكمة، ضمن أمور أخرى، أنها أعانت زوجة أنمار التي كانت تعاني في محنتها. (Vgl. ebenda, Nr. 8274.)

168 Vgl. ThStArchG, Kreisamt Eisenach, Nr. 307, Bl. 47ff.

169 Vgl. William J. M. Mackenzie, The Secret History of SOE: The Special Operations Executive 1940-1945, London 2002.

170 Vgl. Albert Ouzoulias, Die Bataillone der Jugend, Berlin 1976, S. 58 und 67.

171 Vgl. Philippe Wacrenier, Le réseau Vélite et le corps franc Liberté. In: Raymond de Lassus Saint Geniès, Si l'écho de leurs voix faiblit..., Paris 1997, S. 147ff.

172 Vgl. Dominique Lormier, Histoire de la France militaire et résistante. Erster Teil: 1939-1942, Monaco 2000, S. 264.

173 Vgl. Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier français (DBMOF). Bd. 32, Paris 1988, S. 368.

174 Vgl. ebenda. Bd. 42, Paris 1992, S. 232.

175 انظر «مذكرات مصالي الحاج (1898–1938 م)، باريس 1984 م، ص 190–1، و218–9». نال إجازة الدكتوراه عام (1926 م) في باريس، في موضوع «دراسات في الإيجار والاستئجار، للمدى البعيد، والدائم، في العالم الروماني/ Etudes sur les locations à long terme et perpétuelles dans le monde romain »، ونشر، بعد عام، كتابه الذي أهداه إلى والديه وإلى زوجه اليهودية، «تاريخ عدالة سادة الإقطاع والنبلاء في فرنسة، الأصول الرومانية».

176 قارن: فؤاد حداد، حكمت المر: الشاهد اللبناني. مجلة «الطريق. 24/1/1941/1».

177 Vgl. Serge Klarsfeld, Le Livre des Otages, Paris 1979, S. 50.

178 Vgl. ebenda, S. 90.

179 Vgl. Denis Peschanski, Des étrangers dans la résistance, Paris 2002, S. 111.

180 Vgl. Jean-Luc Einaudi, Un Algérien: Maurice Laban, Paris 1999, S. 44ff. und S. 60.

181 Vgl. Christine Levisse-Touzé, Les camps d'internement en Afrique du Nord pendant la seconde guerre mondiale. In: Mélanges Charles-Robert Ageron. Bd. 2, Zaghouan 1996, S. 601-608.

182 Sein Erlebnisbericht "Mémoire. Trois années de camp. Un an de camp de concentration, deux ans de centre disciplinaire Djenien-Bou-Rezg, Sud oranais, 1940 à 1943 (régime Vichy), Sétif 1965" war mir leider nicht zugänglich.

183 Vgl. Yves Maxime Danan, La vie politique à Alger de 1940 à 1944, Paris 1963, S. 40ff.; André Moine, La déportation et la résistance en Afrique du Nord (1939-1944), Paris 1972, S. 189f.

184 Vgl. Benjamin Stora, Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens. E.N.A., P.P.A., M.T.L.D. (1926-1954), Paris 1985, S. 174f.

185 Vgl. Lothar Gruchmann, "Nacht-und Nebel"-Justiz. Die Mitwirkung deutscher Strafgerichte an der Bekämpfung des Widerstandes in den besetzten westeuropäischen Ländern 1942-1944. In: Vierteljahrshefte für Zeitgeschichte 29 (1981), S. 344ff.

186 Zit. in Volker Schneider, Waffen-SS SS-Sonderlager "Hinzert". Das Konzentrationslager im "Gau Moselland" 1939-1945, Nonnweiler-Otzenhausen 1998, S. 144.

187 Vgl. Gruchmann, a. a. O., S. 348ff.

188 Vgl. Przemyslaw Mnichowski, Oboz koncentracyjny i wiezienie w Sonnenburgu (Sl¢nsku) 1933-1945, Warschau 1982, S. 93.

189 (Vgl. Service des Victimes de la Guerre, Brüssel, Zuchthaus Brandenburg.). من الممكن أن يكون اعتُقل أيضـاً على أساس «مرسوم شبرله» المؤرخ في (1944/02/03 م)، لمعاملة متمين، معينين للمقاومة، من حيث المبدأ، بصفتهم «رجال عصابات». (Widerstandsbekämpfung und Judenverfolgung, Darmstadt 2000, S. 129.).

190 Vgl. Gean Degroote, Prisons de la Gestapo et camps de concentration, Steenvorde 1995, S. 23.

191 Vgl. BrLHArchP, Pr.Br.Rep.29, Zuchthaus Brandenburg, Do 8, Bl. 11; ebenda, Pr.Br.Rep.35 H, Nr. 2, Bl. 38a; ebenda, Ld.Br.Rep.214, Hammer, Nr. 16.

192 في هذا الموضع أتقدم بالشكر الصريح للمتعاونات والمتعاونين لما قدموا إلي من المساندة المنطوية على الشهامة، والخبرة بالأمور، في أبحاثي بصدد المواقع التذكارية لمعسكرات الاعتقال في آورشفتس، وبرغن، بلزن (ولا سيما السيد هورستْمن (Horstmann))،

والسيدة شتاين (Frau Stein)، وفلْسنبرغ (السيد سكريبلَيْت، والسيد إيبل / (Skriebeleit, Ibel وفي غروس-روزن، وماوتهاوزن، ومتلباو-دورا (السيدة ينشفسكي، والسيد فاغنر، والسيد مرتنز/ (Janischefski, Wagner, Mertens ونوينغمه (السيد رمرز/ (Römmers وأستهوفن (السيدة فالتر/ (Walter)، ورافنزبرك (السيدة شندلر زفكوف، والسيدة شنل/ (Schindler-Saefkow, Schnell)، وزكسنهاوزن، (السيدة شفارتس، والسيدة ليشر/ (Schwarz, Liebscher) وشتُهُف، وكذلك سجين نتسفايلر، السالف، وسجين دخاو، إرنست غلن (Gillen)، في هوفالد (Howald) باللكسمبورغ.

193 Vgl. Gerhard Höpp, "Gefährdungen der Erinnerung": Arabische Häftlinge in nationalsozialistischen Konzentrationslagern. In: asien, afrika, lateinamerika 30 (2002), S. 373-386.

194 Die Herkunft der restlichen Häftlinge konnte noch nicht geklärt werden.

195 Vgl. GStArchB, XIII. Hauptabteilung, Groß-Strehlitz, Paket 371/1 A und 372 A.

196 (Vgl. Stora, Dictionnaire biographique, a. a. O., S. 45f.). حين سئل بنون، في مستهل السبعينات، في أثناء استبيان أجرته المكتبة الوطنية الجزائرية، بعنوان «التاريخ الشفوي، بين المحاربين القدماء في حرب التحرير»، كان من المؤسف أن منفذ المقابلة الصحفية شطب عند نشر النتائج «فقرات الرواية» التي تتناول حياة الجزائريين في فرنسة الواقعة للاحتلال الألماني، وبذلك شطب أيضـــا موضوع اعتقال بنون في معسكرات الاعتقال. (Vgl. Mahmoud Bouayed, L'histoire par la bande. Une expérience de la Bibliothèque Nationale d'Algérie, Algier 1974, S. 31ff.).

197 Zu diesem Außenlager siehe Nils Aschenbeck/Rüdiger Lubricht/Hartmut Roder u.a, a. a. O., S. 47ff.

198 Vgl. DBMOF. Bd. 20, Paris 1983, S. 35.

199 Vgl. Gerhard Höpp, Salud wa Salam. Araber im Spanischen Bürgerkrieg. In: INAMO 9 (2003) 33, S. 53-55.

200 Manuel Razola/Mariano C. Campo, Triángulo azul. Los republicanos españoles en Mauthausen, 1940-1945, Barcelona 1979, S. 321, geben irrtümlich den 9. April 1941 als Fluchtdatum an.

201 قارن هذا بمقولة كاترين غرايزر: «وماتوا وحيدين بهدوء، من دون أن يصرخوا أو ينادوا أحدًا، وكان يوجد، في المعسكر الصغير»، فيما بين أيار عام (1943 م) وكانون الثاني عام (1945 م)، على الأقل، (18) معتقلاً عربيـــا، مات منهم خمسة على الأقل؛ في (In: Dachauer Hefte 14 (1998) 14, S. 102-124.).

202 (Reichsgesetzblatt, Jahrgang 1934, Teil I, S. 213f. Nach einer Entscheidung des Sächsischen Oberverwaltungsgerichtes vom 20.11.1937)، ويستفاد من قرار صادر عن المحكمة الإدارية العليا في سكسونيا، في (1937/11/20 م) أن «الأجنبي نوعـــا/ artfremder Ausländer» يمكن إبعاده عن الرايخ أيضـــا بسبب «تعرضه للخطر لقاء العنصر الألماني» (Vgl. Juristische Wochenschrift. 67 (1938) 11, S. 704.).

203 Vgl. BArchB, R 58/270, Bl. 82.

204 Vgl. Rachel Simon, It Could Happened There: The Jews of Libya during the Second World War. In: Africana Journal 16 (1994), S. 391-422. Siehe auch die von der Autorin nicht benutzten Akten in: PArchAAB, R 41507, R 41508 und R 412583.

205 لفتت إرنست جيلين نظر المؤلف، في (2003/03/20 م)، في سياق آخر، وبالاستناد إلى تجربته الخاصة، إلى أن الفتات الصغيرة، العائدة إلى أمم أخرى، ليس لها مصلحة في أن تُعرف بهذه الصفة، إذ أن هذا لم يكن يجدي، بل كان أقرب إلى أن يُلحق الأذى».

206 Vgl. PArchAAB, R 41483.

207 Vgl. Staatsarchiv Hamburg, Tägliche Zu- und Abgänge der Schutzhaftgefangenen im Polizeigefängnis Fuhlsbüttel; ebenda, Gefängnisverwaltung II, UG-Kartei alt, Frauen.

208 Vgl. PArchAAB, R 41484.

209 Zu diesem Lager siehe Michael Hepp, Vorhof zur Hölle. Mädchen im "Jugendschutzlager" Uckermark. In: Angelika Ebbinghaus (Hg.), Opfer und Täterinnen. Frauenbiographien des Nationalsozialismus, Nördlingen 1987, S. 191-216.

210 Vgl. BArchB, Film 41351, Bl. 616.

211 Zu diesem Lager siehe Zwangsarbeiter- und Kriegsgefangenenlager. Standorte und Topographie in Berlin und im brandenburgischen Umland 1939 bis 1945. Eine Dokumentation, Berlin 2001, S. 177.

212 (Vgl. Archiv Sachsenhausen, JD 22/2, Bl. 52f.). من الممكن أن تكون المسألة تتعلق بالتونسي أحمد بن أ، المولود في عام (1898 م)، والقادم من نوينغمّه، والذي، بالطبع، لم يثبت المحرر موته المفترض.

213 Gillen an den Autor, 20.3.2003.

214 Vgl. Archiv Sachsenhausen, a. a. O.

215 Vgl. Pierre Durand, Les armes de l'espoir. Les Français à Buchenwald et à Dora, Paris 1977, S. 292ff. und 304f.

216 Vgl. ebenda, S. 298ff.

217 Hermann L. Gremliza, "Ein skandalöser Text". In: Israel, die Palästinenser und die deutsche Linke, Beiträge einer Tagung der Marx-Engels-Stiftung/ Wuppertal, Essen 2002, S. 58.

الملحق: في ظل القمر، ضحايا النازية من العرب

1 أي: تعريضها إلى خطر النسيان والتجاهل والقمع .. إلخ (ز م).

* Gerhard Höpp, Im Schatten des Mondes: Arabische Opfer des Nationalsozialismus.

2\. Ina Friedman, The Other Victims: First-Person Stories of Non-Jews Persecuted by the Nazis, Boston u.a. 1990, S. 1.

3 Jan Assmann, Die Katastrophe des Vergessens. Das Deuteronium als Paradigma kultureller Mnemotechnik. In: Aleida Assmann/ Dietrich Harth (Hg.), Mnemosyne. Formen und Funktionen der kulturellen Erinnerung, Frankfurt/M. 1991, S.344ff

4 Tom Segev, "Der Holocaust gehört in seinen historischen Kontext". In: Universitas 51(1996), S.90

5 في حالة عدم الإشارة إلى مراجع، تستند التفصيلات إلى تواريخ المحفوظات والمواقع التذكارية لمعسكرات الاعتقال، التي أدين لها بعونها على نحو صريح.

6 Vgl. Wolfgang abel, Über Europäer-Marokkaner- und Europäer-Annamiten-Kreuzungen. In: Zeitschrift für Morphologie und Anthropologie 36 (1937), S. 311ff.

7 Vgl. Reiner Pommerin, "Sterilisierung der Rheinlandbastarde". Das Schicksal einer farbigen deutschen Minderheit 1918-1937, Düsseldorf 1979.

8 Vgl. Belkacem Recham, Les Musulmans Algériens dans l'armée française (1919-1945), Paris 1998, S. 207ff. Siehe auch Mai, Kriegsgefangen in Brandenburg. Stalag III A in Luckenwalde 1939-1945, Berlin 1999, S. 147ff.

9 Benjamin Stora, Histoire politique de l'immigration algérienne en France, Paris 1991, S. 204ff.

10 Aufsaetye dayu befinden sich bei den "Princton Papers" und "asien, afrika, lateinamerika" im Druck.

11 vgl. Rachel Simon, It Could Have Happened There: The Jews of Libya during the Second World War. In: Africans Journal 16(1994), S.391ff.

12 Vgl. Hermann L. Gremliza, "Ein skandalöser Text". In: Israel, die Palästinenser und die deutsche Linke, Beiträge einer Tagung der Marx-Engels-Stiftung/ Wuppertal, Essen 2002, S. 58.

کشاف

ثبت بأسماء الأعلام العرب*

• لقد أخذنا الأسماء العربية من المصدر الألماني حيث لا تتوافر بالأحرف العربية. وقد حرصنا على تسجيل الاسم كما هو آخذين في الاعتبار مشكلة كيفية كتابة الأسماء العربية ونطقها في اللغة الألمانية. ولذا فما لاشك فيه أنه حصل غلط في نقل بعض الأسماء، ونعتذر عن ذلك.

ثبت باسم مختلف معسكرات الاعتقال والسجون

معسكرات الاعتقال

ا

ب

ت

كشاف عام

مسرد عربي لاتيني

ا

أبرلنتسندرف/ Oberlanzendorf
أبلن/ Oppeln
الاتحاد الوطني للمرحلين والمعتقلين/ Féderation nationale des deportés et internés
اتحاد عمال شمالي إفريقية/ Union des Travailleurs Nord-Afrikains
اتحاد نقابات العمال الشيوعية/ CETU
الأداء السابق/ ex-post
إدلباخ/ XVII A Edelbach
أدلف آيخمن/ Adolf Eichmann
أرغني/ Aurigny
أرليانز/ Orleans
إرنست غلنز/ Ernst Gillens
أرلينبورغ/ Oranienburg
أزفالد بول/ Oswald Pohl
إسبنهاين/ Espenhein
استخبارات التجسس المعاكس/ Sicherheitsdienst, SD
إسترفغن — إسن/ Esterwegen/Essen

ب

الجبهة الاجتماعية للعمل/ Front Social du Travail
جبهة العمل الألماني/ Deutsche Arbeitsfront, DAF
جزيرة جرزي/ Jersey
جسلين دخليا/ Jocelyne Dakhlia
الجمهورية الديمقراطية الألمانية/ Deutsche Demokratische Republik
جهاز الأمن/ Sicherheitsdient, SD
جوالني/ Joigny
جورج سكابيني/ Georges Scapini

ح

حانة سيروبار/ Cirobar
حركة نجمة الشمال الإفريقي/ Étoile Nord-Africaine, ENA
الحزب الشعبي الجزائري/ Partie Populaire Algérien
الحزب الشعبي الفرنسي/ Partie Populaire Français, PPF
حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني 'النازي'/ NSDAP
خدمة العمل الإلزامي/ Service de Travail obligatoire, STO

د

الدائرة الخاصة بالسياسة العنصرية/ Rassenpolitischen Amtes
دائرة الخدمات الدبلوماسية لأسرى الحرب/ Service diplomatiques des prisonniers de guerre
دائرة لايبنتس/ Leipnitz
دخاو/ Dachau
درانسي/ Drancy
درتموند/ Dortmund
درسدن-ترخاو/ Dresden-Trachau
دسلدورف/ Dusseldorf
دم من نوع غريب/ artfremden Blutes
دنتسغ/ Danzig
دورتمند/ VI D Dortmund
ديتر فزلجني/ Dieter Wisliceny
ديتس/ Dietz

ذ

الذين ليسوا من المعسكر/ Nicht aus dem Lager, NAL

ر

رافنزبرك/ Ravensbrueck
راينباخ/ Rheinbach
راينهارت كسلك/ Reinhardt Kosselleck
رن/ Rennes
رودلف كاستنر/ Rudolf Kasztner
ريغا–كايزرفالد/ Riga-Kaiserwald

ز

زغان/ VIII C Sagan
زكسنهاوزن/ Sachsenhausen
زلدبستل/ X B Sandbostel
زلنبورغ/ Sonnenburg
زيغبورغ/ Siegburg

س

ساربركن/ Saarbruecken
سافيني–لوسن/ Saveney-Luçon
سامور/ Saumur
سان–مدارد/ Saint-Médard, Camp de Souge
ستابلاك/ I A Stablack
ستارغارد/ II D Stargard
السجل الألماني للملاحقة / Deutsche Fahndungsbuch
سجن أنترماسفلد/ Untermassfeld
سجن براندنبورغ/ Brandenburg
سجن برلين–بلتسنزيه/ Berlin-Ploetzensee
سجن براندنبورغ–هافل/ Brandenburg/Havel
سجن زلنبورغ/ Sonnenburg
سجن فورت دي مونتلوك/ Fort de Montluc
سجن لا سانتيه/ La Santé
سجن لامبيز/ Lambèse
سجن لوز–ليه–ليل/ Loos-lès-Lille
سرسن/ Suresnes
سست/ VI A Soest

صحيفة الغرب العربي/ Der arabische Westen
صحيفة الكفاح الاجتماعي/ La Lutte Sociale
صحيفة تريه دنيون [إشارة الوصل]/ Trait d'Union
صحيفة دويتشه بوديم/ Deutsche Podium
صحيفة ذجرسلم بوست/ The Jerusalem Post

ط

الطوعية القائمة على القسر/ erzwungenen Freiwilligkeit
طولون/ Toloun

ع

عرق سافل/ niedriger Rasse
عملية التبادل/ Releve

غ

غبهاردزهاغن/ Gebhardshagen
غتلب برغر/ Gottlob Berger
غتنهايم/ Gottenheim
غراودنتس/ Graudnetz
غرسبرن/ Grossbeeren
غرس–شترلتس/ Gross-Strehlitz
غرفة التجارة المصرية الألمانية/ Deutsch-Ägyptischen Handelskammer
غروس–روزن/ Gross-Rosen
غروس–شترلتس/ Gross-Strehlitz
غرينوبل/ Grenoble
غنرهاغن/ Genshagen
غنيكسندورف–كرمس/ XVII B Gneixendorf-Krems

ف

فاتنشتدت/ Watenstedt
فلنس/ Valence
فالتر غروس/ Walter Gross
فايمار/ Weimar

كتا/ Cotta
كتائب الشباب/ Bataillons de la jeunesse
كتاب الشهادات الكبير/ Grand livre des temoins
كتاب الضحايا الآخرون/ The Other Victims
كركفي/ Querrqueville
كرميش أرسكي/ Kermisch Areski
كرنتنر لفنتال/ Kaerntner Lavanttal
كسل/ Kassel
كمبين/ Compiegne
كورت متسل/ Murt Munzel
كولونيا/ Köln
كيزرشتاينبرخ/ Kaisersteinbruch
كيمبر/ Quimper

ل

ل غرملتسا/ L. Gremliza
لفال/ Laval
لايبتسغ/ Leipzig
لايبتسغ–تكلا/ Leipzig-Thekla
لبلين–ميدنك/ Lublin-Majdanek
لجنة بوخنفلد الدولية/ International Buchenwald Committee
لكنفلده/ III A Luckenwalde
لمبورغ/ XII A Limburg
لمزدرف/ VIII b Lamsdorf
لواء العمل الفرنسي التحرري/ Brigade fraçaise d'Action liberatrice
لورنس لانغر/ Lawrence Langer
لوس–ليه–ليل/ Loos-lès-Lille
ليون/ Lyon

م

مارك إمبراطوري/ Reichsmark, RM
ماركت بونغاو/ XVIII C Markt Pongau
ماوتهوزن/ Mauthausen

مايرينك/ Meyerinck
المتحفظ عليهم لأسباب تتصل بالأمن/ Sicherungsverwahrte, SV
متس/ Metz
متلباو-دورا/ Mittlebau-Dora
مجفلين من العمل/ Arbeitsscheue
مجموعات التدخل الغربية/ Einsatzgruppen West
مجموعة التدخل بسكايا/ Einsatzgruppe Biskaya
مجموعة جورج أوبير/ Georges-Aubert
مجموعة ديوت/ Diot
المحكمة الاستثنائية في فرتسبورغ/ Sondergericht Wuerzburg
المحكمة الشعبية/ Volksgerichtshof
محكمة هامبورغ الإقليمية/ Oberlandesgerich Hamburg
محيط شتاير/ Steir
المدرعة الأميرال غراف شير/ Admiral Graf Scheer
مدينة العمل غروس هله/ Grosse Halle
مرسوم شبرله/ Sperrle-Erlasses
مصانع الكيماويات لوينا/ Leuna-Werke
مصانع برلين سيمنز-شتدت/ Berlin-Siemensstadt
مصانع دايملر-بنز (مرسيدس)/ Daimler-Benz-Motorwerken
مصانع سيمنز-شكرت/ Siemens-Schuckert-Werken
مصانع كتبوس للآلات/ Mechanischen Werken Cottbus
مصانع هرمن غورنغ/ Reichswerken Hermann Goering
مصنع المنسوجات في غوبن/ Gubener Tuchfabrik Lehmanns Witwe & Sohn
معتقل برغن-بلزن/ Bergen-Belzen
معتقلي الليل والضباب/ Nacht und Nebel, NN
معتقلي شرطة/ Polizeihaeftlinge
معسكر أسرى الحرب زندبستل/ Sandbostel, Stalag XA
معسكر إعادة التربية في برلين-فولهايده/ AEL Berlin-Wuhlheide
معسكر إعادة التربية في برمن-فارغه/ AEL Bremen-Farge
معسكر إعادة التربية في مالتهيرن/ KZ Maltheuern
معسكر إعادة التربية في هلندرف/ AEL Hallendorf
معسكر إعادة التربية ليناو/ AEL Liebenau
معسكر إعادة التربية/ Aarbeitserziehungslager, AEL

معسكر اعتقال أصحاب المراتب الدنيا/ A Stalag XVII, Kaisersteinbruch
معسكر اعتقال الشرطة/ Polizeihaftlager
معسكر اعتقال لاوْفن باي تراونشتاين/ Laufen bei Traunstein, Ilag VII
معسكر الإبعاد عن البلاد/ Ausweisungslager
معسكر الاعتقال الاحترازي/ Sicherungshaftlager
معسكر الاعتقال الحربي الفرعي، فلكزيه/ Falkensee, Stalag III D/Z
معسكر الاعتقال في ماوتهوزن/ Mauthausen
معسكر الإيقاف التابع للقوات البحرية، فسترتيمكه ميلاغ نورد/ Marineiñternierungslager Westertimke, Milag Nord
المعسكر التخصصي لكنفلده/ Stalag III A Luckenwalde
المعسكر الخارجي برلين-لشترفلده-زود/ Aussenlager Berlin Lichterfelde Süd
معسكر الجبهة برُن/ Fronststalag 204 Péronne
معسكر المخصص كيزرشتاينبرُخ/ Stalag XVIII A Kaiserssteinbruch
المعسكر المخصص لكل جنس على حدة:
معسكر اليهود درانسي/ Judenlager Drancy
معسكر اليهود/ Judenlager
معسكر حماية الشباب أوكرمارك/ Jugenschutzlager Uckermark
معسكر كايزرشتينبرُخ/ Kaisersteinbruch
معسكرات التربية على العمل/ Arbeitserziehungslager, AEL
معسكرات الضباط المصنفة تبعـاً للأصل/ Offiziersstammlager
المعسكرات المخصصة لكل جنس على حدة/ Stammlager
مفسدي الشعب/ Volksschaendlinge
مفسدي المجتمع/ Asoziale
مكتب العمل في الرايخ/ Reichsarbeitsdienst, RAD
ملبورغ/ IV B Mellburg
ملتهُيَرن/ Maltheuern
ملزن/ Muelsen
المنظمة الخاصة/ Organization Spéciale
منظمة الخدمة الاجتماعية في مواقع الأعمال/ Service Social de chamtiors de Traravx, SSCT
منظمة تنفيذ العمليات الخاصة/ Special Operations Executive, SOE
منظمة تودْت/ Organisation Todt, OT
منظمة جبهة العمل الألماني/ Deutsche Arbeitsfront, DAF
منظمة قناصة وأنصار/ FRANCS-Tireuts et Partisans
منظمة وحدات الدفاع/ Schutzstaffeln, SS

و

وزيغبورغ/ Siegburg

ولاية تورنجيا/ Thüringen

ي

يان أسمن/ Jan Assmann

يهود التبادل/ Austauschjuden

يواخيم فن ربنترب/ Joachim von Ribbontrop